

تأليف

أبو بكر الصديق عمر الفاروق القاضي

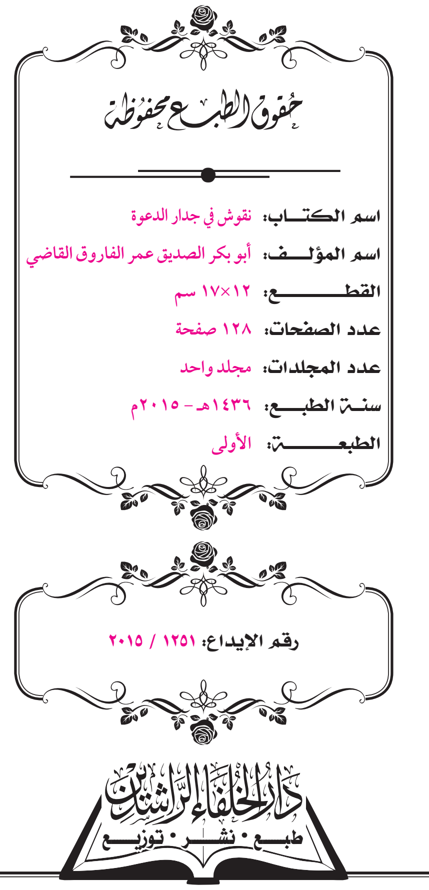
توزيع



الإسكندرية أبو سليمان ش عمر
أمام مسجد الخلفاء الراشدين
٠١٠٠٦٧١٤٧٦٨ - ٠١١٢٠٠٠٤٦٤٦



الإسكندرية مصطفى كامل
بجوار مسجد الفتح الإسلامي
٠١٠٠٥٠١٣١٥١ - ٠١٠٩٤٥٥٥١٥٧



اسم الكتاب: نقوش في جدار الدعوة

اسم المؤلف: أبو بكر الصديق عمر الفاروق القاضي

القطع: ١٢×١٧ سم

عدد الصفحات: ١٢٨ صفحة

عدد المجلدات: مجلد واحد

سنة الطبع: ١٤٣٦هـ - ٢٠١٥م

الطبعة: الأولى

رقم الإيداع: ١٢٥١ / ٢٠١٥

الإسكندرية أبو سليمان ش عمر أمام مسجد الخلفاء الراشدين

الإدارة: ٠١٠٠٦٧١٤٧٦٨ - المبيعات: ٠١١٢٠٠٠٤٦٤٦

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الدعوة إلى الله طريق الأنبياء والرسل، وشرف الانتساب لذلك الطريق نعمة من الله ومنة يجب على كل من تلبس بقبس منها أن يشكر تلك النعمة بالقلب واللسان والجوارح بذلًا وتضحية وتفانيًا ..

وواجب على الدعاة إلى الله أن يبذلوا من أوقاتهم لمحاسبة أنفسهم، وتقييم أدائهم في القيام بدورهم ومهمتهم؛ وهي إخراج العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة..

وذلك يكون بعرض النفس على الوحي قرآنا وسنة، وتلمس معالم الهدي النبوي في معالجة أمراض القلوب والنفوس والواقع ..

وذلك لبيـان مدى البعـد بين واقـع الدعاة وبين المطلـوب والمنتظـر منهم لتغييـر العالم ولأداء مهمة البلاغ المبين وتعميق الاستيعاب لوظائف النبـوة من تلاوة الآيات وتزكيـة النفوس وتعليم الكتاب والحكمة

فكلما قصرت المســافة بيننا وبين المعين النبوي الصافي في حركته الربانية الدعوية كلما استعملنا الرب في تغيير ذاك الواقع و انتشال الظلمات منه بإضاءة مصابيح الخير في كل مكان ..

يقول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلو سلك الدعاة المسلك الذي دعا الله ورسوله به الناس إليه لصلح العالم صلاحًا لا فساد معه».

ومن هنا كانت هذه الســطور نابعة من إشــكاليات حركية ونفسية داخل واقعنا الدعوي نتلمس معًا معالجتها من كتاب الله وســنة النبي ﷺ لتكون نقوشًـا في جـدار دعوتنا وبصائر على الطريق

أسأل الله أن ينفع بها من كتبها وقرأها ونشرها ﴿يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء].

ظمأ الروح وأولويات الداعية

ورد فيما رواه أبو داود الطيالسي وغيره بأسانيدهم عن عبدالله بن أوس بن حذيفة الثقفي عن جده أوس رَضِوَٱللَّهُعَنْهُ قال: قدمنا وفد ثقيف على النبي ﷺ فنزل الأحلافيون على المغيرة بن شعبة، وأنزل المالكيين قبته، قال: وكان رسول الله ﷺ يأتينا فيحدثنا بعد العشاء الآخرة حتى يراوح بين قدميه من طول القيام، فكان اشتكاء قريش؛ يقول: كنا بمكة مستذلين مستضعفين فلما قدمنا المدينة انتصفنا من القوم فكانت سجال الحرب علينا ولنا فاحتبس عنا ليلة عن الوقت الذي كان يأتينا فيه ثم أتانا فقلنا: يارسول الله، احتبست عنا الليلة عن الوقت الذي كنت تأتينا فيه..

فقال ﷺ: «**إنه طرأ علي حزبي من القرآن فأحببت أن**

لا أخـرج حتى أقرأه» أو قـال: «**أقضيه**» فلما أصبحنا سـألنا أصحاب رسـول الله ﷺ عن أحزاب القـرآن كيف تحزبونه فقالـوا: «ثلاث، وخمس، وسـبع، وتسـع، وإحدى عشـر، وثلاث عشرة، وحزب المفصل»[(١)]

هـذا الحديث يبيـن قيمة الـورد القرآني في حيـاة الداعية، وكيف أن اهتمامه بقلبه ووصله بالقرآن هو سـر حياته وحياة دعوتـه بـل وحياة الأمـة بأسـرها إذا بـارك الله في خطاه وفي آثاره، وسُـمِّي الورد وردًا إشـارة إلـى ورود الماء وكأنه ماء الحياة وهو القرآن..

قال السخاوي:
«والـورد أظنه من الـورد الذي ضد الصدر لأن (القرآن يروي ظمأ القلب)»

---

(١) أخرجـه أبـو داود الطيالسـي في مسـنده (١١٠٨)، وأبـو داود السجسـتاني، وابن ماجه.

ففي ظـل الفتن التـي تموج كمـوج البحـر المظلم، وفي ظـل ظلمات الغربة المتكاثرة تذهـب رطوبة القلب ويتيبس ويقسـو وتغور فيه معـاني الحياة والنور، ويظمأ ظمأ تتشـقق من جرَّائه حناياه شوقًا لغيث وريٍّ لا يكون إلا بشكل منتظم وغـذاء متكامـل بوجبة غنيـة مفعمة بحب الله والشـوق إليه والخوف منه ورهبته ورغبته وذلك من ديمومة الورد القرآني الذي يطفـيء ذلك الظمأ ويطفيء نيران الشـهوات ويحرق حشيش الشبهات الذي يذهب جُفاءًا مع ذلك السيل المبارك من الماء الطاهر الثجاج الذي يغمر القلب..

وتأمل في قولهم: «**فاحتبس عنا**»..

كثيـر منـا قد يفضـل العمل المتعـدي النفع علـى العمل الفـردي التعبـدي في الجملة ويقـول: هذا ينفـع الأمة وذاك نفعه قاصر على فرد..

وهذه نظرة قاصرة..!

وتسـتطيع أن تفسـر انقطـاع كثير مـن الأعمـال الدعوية

وعـدم إتمامها على الوجه اللائق أو اسـتمرارها بدون ثمرة جنية حقيقية بسبب تلك النظرة..

فلما كان القائمون على ذلك العمل المتعدي قد تسـطح عندهم الإيمان وأصبح قشـورًا ظاهرة لم تضرب بأطنابه في تربة قلوبهم لقسوتها..

تسـطح أثرهـم وأثـر أعمالهـم في تقـدم الأمة في مسـيرة الإصلاح إلى الله..

النبـي محمـد ﷺ هـو إمام الدعـاة وقائـد تلـك القافلة النورانيـة التـي غيـرت ولا زالـت تغيـر مجـرى التاريـخ والمستقبل احتبس عن موعظته ليلة..

لماذا ؟

ليـروي ظمـأ روحـه وقلبـه وهـو الذي نـزل علـى قلبه القرآن..!

فكيف بقلوب مريضة بالجهل والشهوة والغي والضلال؟!

فكيف بقلوب ماتت ودفنت في أعماق تراب الحياة..

ومع ذلك متصدرة لعمل إسلامي تفسد أكثر مما تصلح؟!
كيف تكون حاجتها لكي تستفيق من الغيبوبة ومن مكر الشيطان بهم أن العمل المتعدي (الدروس والمحاضرات والندوات والمؤتمرات والعمل الحركي والاجتماعي) أهم في الجملة من الجانب التعبدي في حياة الداعية هكذا بدون تفصيل؟!

بنظرة ساذجة سطحية بعيدة عن العمق الموضوعية ..!

علينا أن ننزل كل أمر منزله ونعطي كل ذي حق حقه..

وأولى الحقوق لتلك الآلة المنتجة للأقوال والأفعال والسلوكيات .. المستجلبة للتوفيق من السماء..

ألا وهي القلب..

طروء وردك وحزبك مدعاة للانقطاع والاحتباس حتى تنهيه مالم يتعارض مع واجب عيني تأثم بتركه ..

مقتض لغلق هاتفك وغلق مواقع التواصل الاجتماعي وإلغاء درس وتأجيل موعد ولقاء حتى تنهيه..

والأمر في منتهى البساطة لو استغللنا أوقاتنا ولم نضيعها في اللغو واللهو واللعب..!

ولكن إذا مالت الكفة لا تجعلها تميل على جانب ظمأ الروح..

لا تجعل كفة العبادات التي تخلو من حظ النفس في الظهور والشهرة . ترجح على العبادات التي توثق صلتك بربك خالية من شوائب الرياء والسمعة ...

كن فقيه النفس فطنًا لخيانتها وخسة شراكتها وكثرة أمرها بالسوء..

ورتب أولوياتك على وفق إمامك المصطفي ﷺ في إصلاحك وصلاحك ودعوتك النبي ﷺ.

لا نشترط وردا معينا بكم معين ..

ولكننا نشترط وردًا يطفيء ظمأ الروح، دائم لا ينقطع يكون أولى الأولويات..



اللياقة القرآنية

أخـرج البخـاري عن أبي بـردة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبـي ﷺ بعث أبا موسـى ومعاذًا إلى اليمن فقال: «**يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا**» فقال أبو موسى: يانبي الله، إن أرضنا بها شراب من الشعير المزر، وشراب من العسل البتع فقال ﷺ: «**كل مسكر حرام**» فانطلقا..

فقال معاذ لأبي موسى: كيف تقرأ القرآن ؟

قال: قائما وقاعدًا وعلى راحلتي، (وأتفوقه تفوقًا)

قـال معـاذ: أما أنـا فأنـام وأقـوم، وأحتسـب نومتي كما أحتسب قومتي ..

قـال ابـن الأثيـر: (قولـه: «وأتفوقـه تفوقًا» يعنـي: قراءة القـرآن؛ أي: لا أقـرأ وردي منـه دفعـة واحدة، لكـن أقرؤه شيئًا بعد شيء في ليلي ونهاري، مأخوذ من فواق الناقة؛ لأنها

تحلب ثم تراح حتى تدر ثم تحلب)[١]

هذا الحديث يبين علاقة الصحابة رضي الله عنهم -الذين فتح الله على أيديهم قلوب العباد والبلاد- بالقرآن، وكيف كانت لياقتهم القرآنية، ونعني اختلاط القرآن بشحمهم ولحمهم حتى أصبحت حياتهم لا تنفك عن أورادهم وغذاء قلوبهم وأرواحهم .. ووقود دعوتهم وربانيتهم في الدعوة والبلاغ المبين لرسالات الله..

فبعد بيان النبي صلى الله عليه وسلم لطبيعة الدور الذي ابتعث أباموسى ومعاذًا له من تحقيق وإظهار مقاصد هذه الشريعة الغراء من التيسير دون التعسير والتبشير دون التنفير ثم مفتاح ذلك من المحبة والمودة والإيثار بينهم وهضم النفس في ذلك العمل الجماعي الرصين «**تطاوعا**» إذا بالرجلين يتذاكرا أهم محور في حياتهم ونقطة القوة في ريادتهم وقيادتهم لذلك العالم ..

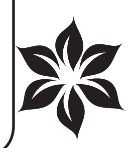
وهي علاقتهم بالقرآن ..

---

(١) «النهاية في غريب الحديث والأثر».

ومرونة انسياب القرآن في أوقاتهم وسهولة ذلك مما يبين قلـة التكلـف والتصنع وخفة القرآن على القلوب والألسـنة لكثرة المراس والمران وحلاوة الإيمان ..

قـال أبوموسـى الأشـعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنـه يقـرأ القـرآن قائمًا وقاعـدًا وعلى راحلته ويتفوقه تفوقًا وكأنه يتجرع ورده من القرآن جرعة جرعة ليتلذذ بـه ويتدبره ويتأمله لأنه أصبح له روحًا وهدى ..



ليس الورد ضغطًا نفسـيًا أو ثقلًا يريد أن يتخلـص منه دون أن يتشـرب قلبه معانيه وأنواره..

وأيضًا يقرأه على جميع حالاته، في حله وترحاله وفي بيته وفي شـارعه متمثلًا في ذلـك ميدانية القرآن وضربه بأطنابه في جسـد الحياة..واختلاطه بذهن المؤمن وأفكاره وطموحاته بيـن النـاس ﴿يَمْشِي بِهِۦ فِي ٱلنَّاسِ﴾ رافعًـا لذلـك الشـعار

وتلك الراية القرآنية على شفتيه التاليتين وعينيه الدامعتين وقلبه الوهاج بالنور ولا يجد في ذلك كلفة ولا مشقة، وذلك لما يجده من لياقة في قلبه وقوة في استيعاب وإتقان الآيات لفظًا ومعنى وتخلقًا، والقرآن لا تنفتح أبوابه إلا للصادق في محبته فهو قرآن كريم ولكنه عزيز .. كريم لا يرد سائلًا..

ولكنه عزيز لابد أن تبذل لكي تجد بركاته وأنواره..

وعلى حسب بَذْلِك وجهدك ترتفع لياقتك حتى لا تجد كلفة في وصالك مع القرآن وتتفوق وردك تفوقًا ﴿ وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾ [العنكبوت:٦٩] ويختلط القرآن بيومك ويرتبط ارتباطًا عميقًا، وتسري البركة في وقتك وقلبك وفي أثرك وسعيك ودعوتك وعلمك وعبادتك..

وقد يكون الإنسان له طابع آخر يصلح عليه قلبه في إتيانه بورده مرة واحدة بالليل كمعاذ رضي الله عنه فينام ويقوم، ولذلك

فهـذا الأمر متوقف علـى ما هو أصلح للقلـب و يبتان ذلك بصدق إرادة العامل وممارسته وتجربته نفسه..

وتزداد اللياقة بعمق المعاشـرة مع القرآن واستبطان حبه القلب..

والقدر المشـترك بين الأدائين هـو التدبر والتلذذ ونزول القرآن دواءًا وشفاءًا..

فزد من لياقتك ..

تصنع ربانيتك..



معركة باطن الإثم
«أخطار تهدد الصحوة من الداخل»

قد تكون الصحوة الإسلامية نجحت في إضفاء كلمة الإسلامية على كثير من مجالات الحياة وبعض سلوكياتها..

وهذا نصف ما أمرنا به من التخلق بقوله تعالى: ﴿وَذَرُوا۟ ظَـٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾ [الأنعام:١٢٠].

ولكن تبقى معركة كبرى لا يزال وطيسها لم ولن يهدأ بعد، وهي معركة باطن الإثم من أمراض القلوب من الغل والحسد والحقد والكبر والعلو والنفاق والرياء ...

وكيف تحطم تلك الأوغار والحزازيات عشرات بل مئات الأعمال التي أنجزتها الأبدان..

سبق الصحابة رضي الله عنهم غيرهم بما في قلوبهم كما قال أبوبكر ابن عياش: «**ما سبق أبوبكر الصديق رضي الله عنه بكثرة صيام ولا صلاة ولكن بشيء وقر في صدره ...فقيل: ما الذي**

وقر في صدره؟ قال: حب الله والنصح للمسلمين»

بنوا دولة في خضم عشر سنين من عمر الزمن لا مثيل لقيامها على مر التاريخ تناهز فارس والروم بضعف إمكانيات ومحدودية قدرات ولكن معهم قلوب طاهرة ﴿إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ﴾ [الأنفال:٧٠].

قال ابن مسعود رضي الله عنه: «إن الله نظر في قلوب العالمين فوجد أطهرها قلب محمد صلى الله عليه وسلم فاصطفاه لرسالته، ثم نظر في قلوب العالمين فوجد أطهرها قلوب أصحابه فاصطفاهم لصحبة نبيه»

تقدموا وتأخرنا.. فتحت لهم الأبواب وأغلقت دوننا.. احتضنتهم السماء والأرض ونبذتنا.. لأنهم بذلوا من قلوبهم وبخلنا...ضرب العلم النافع بجذوره في قلوبهم وأعمالهم وقصرنا...اتهموا أنفسهم مع الإنجاز واغتررنا بثناء وشهرة وأضواء دون إنجاز يضرب بعمقه في خارطة العالم..

بل الفضائح الأخلاقية كل يوم تتجدد وتحسب على العمل الإسلامي بأسره، وما يستره الله أكثر من المعايب والنقائص.. معركة باطن الإثم معركة حية نابضة متجددة بعدد الأنفاس؛ مادمت حيًا فلا تزال مطالبًا بزكاة نفسك الأمارة بالسوء المثخنة بجراح أسهم الشيطان... وحتى الأنفاس الأخيرة شعارك فيها ليس بعد.. ليس بعد.. حتى خروج الروح كما قال الإمام أحمد..

وكما قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «إني إلى الآن أجدد إسلامي وما أراني أسلمت إسلامًا جيدًا» في آخر حياته...

بعضنا يرى أنه قمة في الالتزام والعلم والعمل والبذل والدعوة على مستوى الفرد والجماعة، وهذا سبب الخذلان، ومن هنا تأتي الهزائم ﴿قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ﴾.

نظرة ووقفة ومحاسبة ومراقبة ومرابطة حقيق بها من كان متلبسًا بالطاعة يحرس قلبه من الأمراض و الجراح

لأنه يؤثر بقلبه، ويسير بقلبه وعلى قدر طهارة القلب تكون بركة السير والأثر .

لا أحد أكبر من أن يهزم في تلك المعركة في بعض الجولات ولذلك الحذر الحذر..و الحرص الحرص ...والحراسة الحراسة...حتى لا تكون حصوننا مهددة من الداخل ..!

كياننا ينهار من الداخل بـ ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ أو ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا﴾ أو ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ﴾ أو ﴿لَأَقۡتُلَنَّكَ﴾..

>> داء الأمم <<
الحسد.. النابع من النظر إلى النفس والعلو بها..

قال تعالى: ﴿تِلۡكَ ٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ نَجۡعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوّٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فَسَادٗا﴾ [القصص:٨٣] .

لنطهر قلوبنا حتى يرحمنا الله في علاقتنا معه ومع الناس في دعوتهم .. وحتى لا نلقى في مزبلة التاريخ بضياع كل شيء بالتنازع والاختلاف والاستطالة والظلم والبغي وقصر الأخلاق عن قمم العفو والصفح والإحسان..

(١/ ٣)

سورة القصص وديناميكية التمكين

«إرادة العليم الحكيم»

قدر الله بعلمه وحكمته الصراع بين الحق والباطل والكفر والإيمان في هذه الحياة الدنيا ولولاه لفسدت الأرض ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة:٢٥١] فهو من فضل الله و جمال منه لتظهر آثار أسمائه الحسنى وصفاته العلى في كسر الجبارين المستكبرين العتاة المجرمين والمن على المستضعفين، ونفاذ إرادته ومشيئته رغم الكيد والمكر، ونصر عباده في الدنيا قبل الآخرة..

وقد جعل الله التمكين لعباده المؤمنين مشروطًا بشرط تحقيق العبودية له في أنفسهم وفي نفوس من حولهم وذلك يتطلب علمًا وعملًا.. وبصيرة ويقينًا وصبرًا .. كما تترتب الإدالة على الكفرة

من خلال استكبارهم وعتوهم وفسقهم ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة:٢٤]، ﴿وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ (٣٩) فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ [القصص] ..

فهو الخافض لدركات هؤلاء الرافع لدرجات هؤلاء.. المعز المذل ..المعطي المانع..الضار النافع..القابض الباسط..

ولا تجد سننه الكونية والشرعية واضحة جلية لكل متأمل وقاريء لتاريخ الأمم والشعوب في مثل كتابه المهيمن على جميع الكتب السابقة والذي لا يزال محفوظًا من أيادي التبديل والتغيير والتحريف، وهو القرآن الكريم ..كلمة الله الباقية والأخيرة للبشرية التائهة في دروب الحياة..

وقد جاءت سورة القصص لتجيب على كل أسئلة الطائفة

المؤمنة التي تبدأ كبذرة ثم تكبر وتنمو وتنضج حتى تشق الصخر وتقاوم أمواج الباطل والظلم والطغيان في كل زمان ومكان، فالمؤمنون حلقات للصراع في كل زمن يتوارثون نفس القيم من أنبيائهم ويجاهدون على درب جهادهم ونضالهم..

بدأت سورة القصص برسم صورة للاستبداد البشري والطغيان المتبختر في أبهى صوره وأقبحها ..حين ينسى الإنسان نفسه فيطغى لأنه رآه استغنى .. فتجتمع إرادتا العلو والفساد فتضيع الآخرة ومن قبلها الدنيا .. ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْأَخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص:٨٣] وكيف أن هذه الإرادة في الفجور والعلو ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ ۝٥ يَسْـَٔلُ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [القيامة] لا تقابل إلا بإرادة الله النافذة..

﴿طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٣ إِنَّ فِرْعَوْنَ

عَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْيِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِي ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴾ [القصص] لا تقف أمام إرادات العلو والفساد إلا الإرادة النافذة في الأمم والشعوب ...

فالأمر من السماء لا من الأرض..

وقد نسجت السورة المحكمة الخطة المرسومة في السماء للنصر والتمكين والتي مهما ادعى البشر تدخلهم بعلو أو فساد حتى في الطائفة المؤمنة ذاتها ..تعطلت بقدر الله وتأخرت ابتلاءًا وتربية لهم..

وهذه السلسلة بعنوان: «عقبات في طريق التمكين» رسمتها سورة القصص .. ورسمت لها الحل..

نقف معها سويا في المقالات القادمة نرتشف من القرآن البصائر والصبر لنملأ الدنيا نورًا وخيرًا بآي ذلك الكتاب العظيم..

(٢ / ٣)
«كيمياء التمكين»

وصف الله بني إسرائيل في القرآن بالمستضعفين والصبر وذلك للوصف الغالب عليهم ولم يذكرهم مرة بالعبودية أو الإيمان والعمل الصالح ... ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾ [الأعراف:١٣٧] ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾ [القصص:٥] ..

بخلاف الصحابة -رضوان الله عليهم- فإن وصفهم في القرآن وذكر سبب نصرهم كان مقرونا بأعمال وصفات اتصفوا بها ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [النور:٥٥] ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا﴾ [الفتح:٢٩]

﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ﴾ [الحشر:٨] ﴿فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلَّذِينَ هُم بِـَٔايَٰتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ﴾ [الأعراف:١٥٦] فخلصنا بذلك أن التمكين له معادلة.. بعلاقة مطردة بين الزيادة والنقصان ..

[إيمـــــان] + [عمل صالح]
=
[الصبر على البلاء] + [فترة الاستضعاف ومجيء التمكين]

كلما زاد الإيمان والعمل الصالح ..كلما قصرت فترة البلاء والصبر وجاء التمكين، وكلما نقص الإيمان والعمل الصالح..كلما امتدت فترة البلاء والصبر وتأخر التمكين، ولذلك طالت فترة بلاء بني إسرائيل لما كان إيمانهم وأعمالهم الصالحة ضعيفة ﴿قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا﴾ [الأعراف:١٢٩] فامتدت حياة فرعون عـ٧٥٠ـامًا..!

وقصرت فترة البلاء وأتى التمكين لما كان إيمان الصحابة قويا وأعمالهم الصالحة عظيمة.. فابتلوا سـ١٣ـنة وليس كلهم ثم هاجروا فلم يهزموا إلا مرة واحدة في معركة أحد ثم في سـ٨ـنين فتحت مكة، وفي سـ١٠ـنين دانت الجزيرة وفي سـ١٥ـنة دانت مصر والشام وفلسطين، وفي سـ٢٥ـنة دانت فارس والروم وبلاد ما وراء النهر، وفي سـ٩٠ـنة امتدت دولتهم من الأندلس غربًا إلى الصين شرقًا .. ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴾ [القصص].

فأول الطريق: إرادة الله..

ثم ثانيها: فهم أن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته..

﴿ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴾ [الأعراف:١٢٨].

فالملك والسلطان ..

والتراب والأرض ..

والناس وقلوبهم ..

وعقولهم وأموالهم ..

بيد الله ..

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ ۖ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ [آل عمران]..

ثم تأتي الخطوة الثالثة في طريق التمكين..

في المقال الآتي:



(٣ / ٣)

«فقه الجندية في القرارات الصادمة»

كلما ازدادت أزمة الأمة كلما أصبح حتمًا أن يتصدى للإصلاح من يمتلأ قلبه بحب الصلاح والإصلاح العام، وتلك القلوب ينبغي أن تكون حكيمة عالمة تعرف خير الخيرين وشر الشرين، وتعرف القاعدة الإصلاحية الفذة التي تجمع بين الأرض والسماء والمطلوب والمقدور والإخلاص والتجرد والاستعانة ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [هود:٨٨].

ولابد أن تحتمل التضحيات الكبيرة في قبالة مصالح الأمة وإحيائها.. بعيدًا عن العاطفة الهوجاء وتثبيط الشياطين والمخذلين.. حين يخلو في القلب إرادة الإصلاح وفهم عميق للشرع والواقع ولا يكون إلا ببصيرة من الوحي ..

حينها تستحيل حياة العبد إلى حياة الجندي المؤيد من

قبل الله ليربط على قلبه رغم الخطوب المدلهمة والبلايا المحطمة، والذي يمتثل لما يمليه عليه دينه وضميره تجاه نفسه وأمته وبهذا يصنع النصر والتمكين.

وتتضح تلك الجندية في ظل القرارات الصادمة للمشاعر التي تمليها الحكمة الإلهية من خلال الوحي والعقل المفكر من خلال فهم الواقع ..!

ويجعل الله على قدر الصدق والتجرد في تطبيق تلك الجندية الخير في العاقبة، وحتى في ظل ختم النبوة والأخذ بالاجتهاد على حسب الطاقة والوسع فيكون الأمر محتملًا صوابًا وخطأ بين أجرين أو أجر واحد، ومع ذلك إذا كان صاحب الاجتهاد -أو من يقلده لأنه أوثق في نفسه- صادقًا مخلصًا متجردًا في قصده فإن الله يجعل فيه الخير والرشد والفلاح..

تحتاج تلك القرارات الصادمة لتهيئة الجنود المنوطين بها بالعلم والحكمة والإيمان ونور العبادة وتعلق القلوب بعلام الغيوب توكلًا وثقة وحسن ظن؛ لأن الزلزلة تكون

شديدة مع مواجهة العقل الجمعي ليس في جمهور المجتمع والعقلاء فحسب بل حتى ستواجه العقل الجمعي في جمهور من ينتسب للإصلاح ..

ولكن القوة في استقبال تلك القرارات تتفاوت على حسب العلم والفهم ونور البصيرة...

وجاءت سورة القصص بإيحاءاتها الحركية لبناء مؤسسة وطائفة، ولا يكون ذلك إلا بتحقيق جندية واعية صادقة، قال تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ﴾ [القصص:٧] من الأم التي تحتاج لتؤمر بإرضاع طفلها؟! ولكنه أمر للتهيئة والاستعداد لما هو آت، وإشعار أن ما هو آت متضمن في مصلحة ذلك الطفل الذي ستكون حياته حياة للأمة وبعث لها بعد الرقاد.. ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ من جنود فرعون أن يقتلوه بأشفارهم ﴿فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ ﴾ مفاجأة ولكن بتأمل بسيط ستجد أن الموازنة بين موت حتمي وموت مظنون .. مفسدة محققة ومفسدة مظنونة ...

قلب الأم.. هل يحتمل مثل ذلك الأمر بإلقاء فلذة كبدها في البحر؟! إلا بثقة حقيقية في جهة الأمر إما وحي بنص أو اجتهاد منضبط بموازين الشريعة ..

ومادمت على بصيرة فلا تخف من المستقبل ولا تحزن على مافات ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ ولا تبتئس ولا تنظر إلى الخلف..

واطلب من ربك رباط القلب... ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى﴾ [القصص:١٠] لما ألقته وألقاه اليم بالساحل التقطه آل فرعون فأصبح فؤادها فارغًا من كل شيء إلا موسى، جاءها الشيطان قال لها: خفت عليه من فرعون وقتلتيه بيديك، وكادت تبدي بالأمر وتصرخ... ﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ [القصص:١٠].

فقلب الجندي لكي يثبت يحتاج لتثبيت الباري بذكره وعبادته ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [القصص:١٠].

قدر الله الخير ورد موسى سالمًا بتسخير قلب امرأت

فرعون له وتسـخير ابنة فرعون التي كانت مريضة فمسحت به فشفيت، وتحريم المراضع عليه كونًا و تسخير أخته لتقصه من جنب ...

﴿ فَرَدَدْنَـٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ ...

كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا ...

وَلَا تَحْزَنَ ...

وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ...

وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [القصص:١٣].



الصحوة الإسلامية ومنطلق الرحمة المفقود

الله هو الرحمن الرحيم .. يـرزق العباد القلوب الرحيمة التـي تتدفق رحمةً وحنانًا وشـفقةً على الخلـق، وعلى قدر نصيب العبـد من الصلاح والإصلاح والإحسـان في عبادته وعلمه ودعوته وقربه من القرآن..

﴿ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾

تكـون رحمة الله قريبة منه، لا ينزعها من قلبه فيسـتحيل قاسيًا على الأقربين والأبعدين؛ فقد تنزع منه حتى على فلذة كبـده كما قال النبي ﷺ للأقرع بـن حابس حين أخبره أن له عشرة من الولد لم يقبل منهم أحدًا: «**أوأملك أن نزع الله من قلبك الرحمة**»؟!

فمـن كان هـذا حاله مع القريبين، فكيـف يكون حاله مع مـن أذاه أو تعـرض له بسـوء؟! هذا لا يتصور منه إلا أبشـع

صور الانتقام وإرواء الغليل بالشماتة وأنواع الإهانة..

ولكن أفق الأنبياء والرسل -صلوات الله وسلامه عليهم- وورثتهم من العلماء والحكماء والدعاة في سماء أخرى، وفي علو سامق من فيوضات الرحمة التي يفيض الله بها على قلوبهم، على الموالفين والمخالفين، على البر والفاجر، والمؤمن والكافر، والذي أحسن والذي أساء، وهذا يدل على اتساع قلوبهم وتدفق شلالات الرحمة والحنان والشفقة فيها من آثار علاقتهم الطاهرة بربهم التي تشبعهم وتغنيهم عن ملاحقة المخلوقين مطالبة وعتابًا وعقابًا ..

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العارف لا يرى لنفسه على أحد حقًا، ولا يرى لنفسه على أحد فضلًا، ولذلك لا يعاتب ولا يطالب ولا يضارب» مستغنيًا بالله عن العالمين فتراه يصبر الصبر الجميل على الأذى بلا جزع، ويهجر الهجر الجميل بلا أذى، و يصفح الصفح الجميل بلا عتاب..

تجده رحيمًا على المخالف ولو كان كافرًا يسترحم ربه له، و يسعى لهدايته بكل وسيلة، يكره كفره وفسوقه وعصيانه، و لا يكره شخصه كراهية تعيقه عن دعوته ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَ﴾ [الحجرات:٧].

انظر: كم كانت رحمة إبراهيم عليه السلام كادت تملأ السهل والوادي مع أبيه مع الأذى و التهديد بالرجم ﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓ﴾ [مريم:٤٧] ومع قوم لوط المجرمين، ومع إتيان البشرى لم ينشغل ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنۡ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلرَّوۡعُ وَجَآءَتۡهُ ٱلۡبُشۡرَىٰ يُجَٰدِلُنَا فِي قَوۡمِ لُوطٍ﴾ [هود:٧٤] يسترحمهم يجادلهم في تأخير العذاب عنهم وعن قريتهم ﴿إِنَّ إِبۡرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة:١١٤] الأواه: كثير التوجع والتأوه لأحوال الخلق ...

لم تقتصر الرحمة على القريب أو من معه في فئته وعصابته وطائفته، بل شملت المخالف والعاصي والكافر مع كراهية المنكر والسعي لإزالته باليد واللسان..

وانظر إلى رحمة النبي ﷺ بالكفرة حتى مع الإيذاء الحسي والمعنوي حتى عاتبه ربه في هذا ﴿ فَلَعَلَّكَ بَـٰخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِمْ ﴾ [الكهف:٦]، ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ﴾ [فاطر:٨]، ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران:١٥٩] «**لعل الله يخرج من أصلابهم من يوحد الله تعالى**» مع القدرة على الانتقام بأن يطبق ملك الجبال عليهم الأخشبين..!

ورحمة الصالحين المصلحين كرحمة مؤمن آل ياسين بقومه مع الضرب والسحل والدوس بالأقدام حتى خرجت أمعاؤه من دبره ولفظ أنفاسه الطاهرة الأخيرة وصوته يجلجل: ﴿ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴾ [يس:٢٥] ثم ﴿ قِيلَ ٱدْخُلِ ٱلْجَنَّةَ ﴾ [يس:٢٦] فانطلقت منه صرخة رحمة وشفقة تشق صدور القساة و غلاظ القلوب: ﴿يَـٰلَيْتَ قَوْمِى يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِى رَبِّى وَجَعَلَنِى مِنَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴾ [يس] هذه رحمته بمن آذاه وقتله وهو يدعوهم إلى الله ويريد بهم الخير..

منطلق الرحمة في الدعوة إلى الله منطلق رباني يشكل رؤية مختلفة للداعية وهو في آتون الصراع والتدافع بين الحق والباطل ومن ثم تختلف سلوكياته ومظاهر بذله وتضحياته في دعوته وإصلاحه..

▌ **فهلا اصطحبنا هذه النفسية** ﴿وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ﴾ [غافر:٣٢].

▌ **هذه المشاعر** ﴿وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٖ كَبِيرٍ﴾ [هود:٣].

▌ **هذه الأحاسيس «إني آخذ بحجزكم من النار، وأنتم تفلتون مني تقحمون فيها»..**



المنظومة الرباعية الأبعاد
التوبة .. رؤية مجتمعية جديدة

الدعوة إلى الله ليست واجبًا وتكليفًا يضطلع بها العبد بين يدي ربه فقط، ولكنها رحمة من الله يضعها في قلوب الدعاة يتحركون بها في كل مكان بسمتهم وسلوكهم ينشرون النور والبركة في كل مكان.

والبشرية في قمة الحاجة لمن يذكرها بالله، لتنزجر عن صلفها وطغيانها، ولكي ترعوي عن جحودها و كنودها وظلمها وجهلها، ولكي تنزع من بؤسها وشقائها ببعدها عن خالقها وفطرتها النقية بحبه والشوق إليه؛ فأشواق الروح لا يحدها حد إلى الله لولا كثافات المادة والحمأ المسنون والطين التي تحول بينها وبين الوصول لكمالها بتحقيق إنسانيتها من خلال العبودية.

وكثيرًا ما نظن أن ذلك مسئولية العبد بمفرده أو التائب

الذي أراد أن يتحدى العوائق لربه - وحده -، وإن كان عليه قـدر كبير من المسـئولية ولكنـه لا يتحملها بمفـرده بل هو عنصـر من أربع عناصر في منظومة رباعية الأبعاد تظهر التوبة والرجـوع إلى الله كمسـئولية مجتمعية حقيقيـة، وهذا الذي يفصـح عنـه حديث أبي سـعيد الخـدري رضي الله عنه الصحيح في قصة قاتـل المائة نفس الذي كثيرًا مـا يطرق مجالس وعظنا دون النظر لإصلاح المجتمع من خلاله.

فقـد اتضـح من خـلال القصـة أن التوبة منظومـة رباعية الأبعاد تتكون من:

١-تائب يتحدى العوائق:

وهـو قلـب يتيقظ بإذن ربـه وهدايتـه وتوفيقه مـن رقود الغفلـة ويتحدى العوائق والعقبات فيقتحمها، وهي تنقسـم لعوائـق داخلية من نفسـه الأمارة بالسـوء بجهلهـا وظلمها وجزعها ومنعها، والشـيطان الذي يجـري منها مجرى الدم مـن العـروق، وعوائـق خارجيـة من الدنيـا وفتنهـا من فتن

النسـاء والولدان والمال والملك وهو العنصر الأسـاس في هذه المنظومة و ينبغي الاجتهاد في ايجاده من خلال الدعوة الفردية والبلاغ والوعظ ببيان كل حيل النفوس والشـياطين للحيلولـة بينـه وبين سـر سـعادته وبيـان فتن الدنيـا وكيفية التغلب عليها من تحقيـق التعلق بالمطلوب الأعلى فتتقطع كل حبائل الشـهوات والجاذبية الأرضيـة على قدر قوة دفع الحـب الـذي في القلـب، ويقترب مـن النجاة ولو «**بشـبر**» وينوء بصدره في سكرات موته نحو القرية الصالحة..يزحف ويحبو نحو النور فيتحدى الموت أيضًا..!

٢-داعية عالم :

وهـو أكبر التحديات التي تواجه العمل الإسـلامي برمته وهـو الشـخصية التي ترتقـي بنفسـها لتكون على مسـتوى الإسـلام علمًا وعملًا وخلقًا وسـمتًا وفقهًا ودعـوة وبلاغًا مبينًـا بكل أنـواع البيـان اللفظي والحالـي بعيدًا عـن الغلو والجفاء والإفراط والتفريـط والتنفير والتكفير وصد الناس

عـن سـبيل الله بزعـم الـورع كالراهـب الجاهل ممـا يؤدي - علـم أم لـم يعلم - إلى صنـع الطواغيـت والجبابرة، ولو كانـت موجودة يزيـد في طغيانها «**فقتله فكمـل به المائة**» كم تسـاوي تلك الكلمة التي ترفع شعار أمام مجتمعات: «**ليس لك توبة**»..؟! تزيد من صلفهم وطغيانهم لعداوات شخصية وحظـوظ نفسـية أو طائفية، وينبغـي أن تتجـرد الدعوة إلى الله مـن كل هـذه العوائـق حتـى تخلص من ذلـك الغضب المسـتطير من رسـول الله ﷺ على معـاذ رضي الله عنه - حين أطال الصلاة بسورة البقرة فلم يراع أحوال المأمومين، وليس هذا فقـط بل وصف من أنكر عليه بالنفاق - فقال له: «**أفتان أنت يا معاذ، سـبحان الله عباد الله إن منكم منفرين**» والشـق الثاني من فعل معاذ رضي الله عنه هو الأخطر وهو سر التنفير .

وتحـدي الداعية العالـم الذي يواجه الصحـوة لا يعالج بمقالـة أو محاضـرة ونـدوة وشـعارات ترفـع إنمـا بالعمل المجتمعي الرباني الجاد في إيجاد تلك الشـخصية المتكاملة

الغير مشوهة التي تضلعت من الشريعة ومقاصدها وكلياتها فلا يهولنها كثرة الفظائع والجرائم وظلم الواقع للاستغراق فيه دون وزن الأمور بالموازين الشرعية المنطلقة من مشكاة النصوص وكبح جماح النفوس والعواطف ليستقيم طرحه الدعوي المنهجي المتجرد من رعونات النفوس بدون غلو ولا جفاء وبالاتباع لا الابتداع في تغيير الواقع الأليم.

ذنوب العباد مهما عظمت فهي شيء ورحمت الله وسعت كل شيء

إنه الفهم الدقيق والإيمان العميق بالرحمن تعالى وبشرعته «**ومن يحول بينك وبين التوبة**» بمعرفة سعة رحمة الله وأن ذنوب العباد مهما عظمت فهي شيء ورحمت الله وسعت كل شيء وأن جبريل قال للنبي ﷺ: «**لو رأيتني يا محمد وأنا أدس الطين في فم فرعون مخافة أن تدركه الرحمة**» وهو يقول الكلمة: ﴿ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ .. فإن كانت الرحمة قد تدرك مثل فرعون، فما بالك بمن



دونه؟! ولا يفقه ذلك إلا من كان بالرحمن خبيرًا..!

٣-مجتمع إيجابي:

من أكبر العوائق التي تحول بين التائبين وبين طريق الاستقامة صحبة السوء والبيئة الخبيثة التي لا تخرج إلا نكدًا من الأقوال والأفعال والأخلاق، وليس هذا البيان ليتكأ عليه التائبون فضلًا عن المصلحين لتبرير تعطيل الدعوة، ولكنه بيان لتحدي عقبة لابد من اقتحامها، وهو يمثل ثاني أكبر تحدي يواجه المجتمعات وأعظمهم احتياجًا لمدى طويل للعلاج. توفير تلك البيئة الصالحة لا يكون بتركها والانعزال عنها كما كان يسع ذلك الرهبان، ولكن بالاختلاط والانخراط والصبر على الأذى وفرض واقع جديد إيماني وعمراني؛ قال تعالى ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمۡ لَيَأۡكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمۡشُونَ فِي ٱلۡأَسۡوَاقِ﴾ [الفرقان:٢٠] فالنبوة حقيقتها في البلاغ وتأدية الرسالة بخلطة البشر والعطاء قال ﷺ:

«من خالـط الناس وصبر علـى أذاهم خير ممـن لم يخالط الناس ولم يصبر على أذاهم».

مجتمـع سـلبي أرض سـوء لأن الذين عليهـا لا يأمرون بالمعـروف ولا ينهـون عن المنكـر فيوشـك الله أن يعمهم بعقـاب، وليس العقـاب والتدمير فقط بالـزلازل والبراكين والأعاصيـر بل التدمير أيضًا معنويًـا بتدمير المجتمع داخليًا وخلقيًا وروحيًا.

فالتوبـة أيضـا مسـئولية ذلـك المجتمـع الـذي يرتـدع فيـه المذنـب ولا يجهر ويسـتتر بفعلتـه وينبذ بفعـل الفطرة المستقيمة لدى هذا المجتمع.

وبالنسـبة للفـرد لا للمجموع قد يجـوز الانعزال لبعض الوقت لاشـتداد عود الإيمان واخضراره داخل قلب التائب حتـى يتسـنى له الدعـوة على بصيـرة والخلطـة للإصلاح، وليـس هذا تكأة لانعـزال طائفة أو عزلة شـعورية لها تؤدي لإنتاج أسـقام فكرية وعلل سلوكية من الاستعلاء والطغيان

بالطاعة أو التعصب المذموم .

وبعد بيان هذه الأبعاد التــي تبين التوبة في رؤية مجتمعية جديـدة كمسـئولية لكل فرد مـن أفراد المجتمـع ليس على التائبين أو الدعاة فقط، بل أمر النصيحة لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين الذين يقودون الناس بكتاب الله ولعامتهم مسئولية كل مسلم مخلص لربه تبارك وتعالى ..

٤-بعد غيبي:

ويتجلـى في نهاية القصة البعد الغيبي الذي لا طاقة للعباد بـه وهو إرادة الله رحمة بعبد فلا مرد له ولا ممسـك لرحمته ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾ [فاطر:٢]، ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴾ [الشعراء:٧٨]، ﴿ إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ﴾ [القصص:٥٦] وهنا ترد هذه الآية موردًا صحيحًا بعد الثورة الإصلاحية من الأسـفل للأعلى في المجتمع ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَيْكُمْ أَنفُسَكُمْ ۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهْتَدَيْتُمْ ﴾

فبعد الأخذ بأسباب الهداية الفردية والجماعية والمجتمعية فلابد للتائب والداعـي والمجتمع الصالح المصلح بالإنابة والتوكل وتفويض أمر الهداية والإضلال لرب العالمين فهو يخلـق الهدايـة في قلب من شـاء من عباده، يهدي من يشـاء ويضـل من يشـاء، يرفـع ويخفـض ويعطي ويمنـع، يقبض ويبسـط تبـارك وتعالى، يسـخر أسـباب الكون كلـه لقلب اسـتقام على العبودية «**فأوحى لأرض المعصية أن تباعدي، ولأرض الطاعة أن تقاربي، فوجدوه أقرب إلى أرض الطاعة بشبر**» فلنستصحب بعد هذه المنظومة ذلك البعد، بل هو في الحقيقة البداية والنهاية والأصل والفرع ..

فالتعلق بالله واجب كل مرحلة ودور كل مسلم في كل نفس ولحظة ولفظة..

والله ولي التوفيق.



حتى لا تذبل الزهور

طريق الدعوة إلى الله وخدمة دين الله تبارك وتعالى طريق مقدس معظم، وكلمة الدعوة هي أفضل كلمة تقال على وجه الأرض، وحري لمن يتصدى لهذه الوظيفة التي هي ميراث الأنبياء والرسل المبعوثين من قبل السماء أن يرتقي لمستوى المهمة التي هي «من أعظم مقامات التعبد» كما يقول ابن القيم رحمه الله، وهو على قدر ما فيه من أجر وخير في العاجل والآجل فهو محفوف بمخاطر إذا لم يلتفت إليها كادت تحيق بالأمر هلاكًا..!

ومن هذه المخاطر: خطر التعامل مع الصف الداخلي الصاعد للحقل الدعوي ..أي: التعامل مع الكوادر الناشئة..

فالقيام بهذه المهمة له أثر بالغ وعميق إن كان بالسلب أو الإيجاب ..

ولكن الآثار تكون مدمرة في الحقيقة لو تأملنا إن كان التعامل

يؤدي لهدر الطاقات وكسر النفوس و إذبال تلك الزهور..

حين نرى تقصيرنا الشخصي في خدمة ديننا فإننا نستغفر الله ونتداركه بتوبة حين تتيقظ هممنا، ولكن الإشكال يزداد تعقيدًا أن نتسبب في تأخر العمل الإسلامي من حيث لا نشعر صدًا عن سبيل الله من حيث لا ندري، وذلك حين تخسر الدعوة والعمل من أجل الدين عشرات الأشخاص وتتساقط تلك المواهب والقدرات من تلك القافلة ..

حين تكتشف بعد مرور السنين أن تلك الطاقة التي كانت يومًا ما مهيأة لخدمة الدين أنه تم استغلالها من جانب آخر إن كان دنيويًا صرفًا فضلًا أن يكون محرمًا .. فيتقطع قلبك حسرة عليه وعلى مربيه وعلى العمل الذي خسره..

تراه بعد طول السنين وقد شحبت معالم الالتزام فيه وذبلت جذوة الحماسة في خدمة دينه..

ونحن نعلم أن الدعوة لاتتوقف على أحد، ولكن لابد من النقد الذاتي الذي يصحح المسار.. ويدفع المفاسد وينصح المسئول عن ذلك..

من المسئول عن ذلك ؟

إنـه المربي محدود الأفـق ضيق العطن الـذي لم يرتقي لمســتوى المسـئولية التي ألقيت على عاتقه تجـاه الأجيال فيقتل كل يوم -شعر أم لم يشعر - طاقة ويدفنها تحت تراب اليـأس والتثبيـط، أو تـراب الانهزاميـة وفقد الثقـة بالنفس، أو تـراب التبعيـة العميـاء التـي لا تصنع إلا إمعـات ترضي غرور متبوعيها..!

كـم بيننـا أمثال مـن قـال لابن عبـاس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا حيـن دعاه لطلب العلم: «**واهًا لك أتـرى الناس يحتاجون إليك وفيهم أصحاب محمد** صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» هذا الرجل لاشك أنه من خير القرون وهـو صالح، ولكن انظر إلى هـذه الكلمة، وماذا كان يمكن أن تؤثـر وتفـت في عضد ذلك الجهبذ لـو كان التفت إليها.. ومـرت الأيام وكانت حلقته تملأ المســجد واعترف الرجل أنه كان أعقل منه ..!

كم من كلمات تقتل قدرات وطاقات !!

كم من كلمات تكسر أعوادًا كادت تقوم وترسخ وتكون أعمدة خرسانية في حقل الدعوة!!

كم من كلمة لا نلقي لها بالًا يمتد أثرها السيء عبر الأيام في نفس السامع فيمتد أثرها سيئات ويهوى بها صاحبها في الدركات..!

وكل هذا وهي كلمة ..

ولكن قد تذبل الزهور بسببها ..!

كانت نفسـية ابن عباس صخرية تتحـدى العوائق، وهذا الـذي يجب على المربى أن يسـتوعبه، أنه إذا عرف ما قصد هـان عليه مـا وجد، أنه إن صـدق الله صدقـه الله، فلابد من تحدي العوائق وتخطيها وفرض النفس على الواقع بالصدق في تحديـد الهـدف علـى حسـب قدراتـك، ثـم الإخلاص والتجرد والبذل المستمر بلا التفات..!

ولكن حين نتدارس المشـكلة لابد أن نتاولها من جانب الجـرح وإن كان عميقًـا، ولا ينبغـي لنا أن نتـواكل ونقول:

لابد أن يصدق حتى يتسنى له التميز؛ لأن العباد متفاوتون في الطاقات وأعمال القلوب، ونحن نحتاج لكل الطاقات الضعيفة والقوية في السير ..

وكان النبي ﷺ يميز بين المواهب والقدرات ما بين القوي والضعيف فيقول لأحدهم: **أرجو أن تكون ممن تدخل الجنة من كل الأبواب،** ولآخر: **إنك ضعيف ..**

يوجه أحدهم لتعلم لغة يهود، وآخر للقرآن وتعلم التأويل، وآخر لقيادة الحروب، ورابع للإنفاق، وعلى حسب قربنا من ذلك النموذج نعيد الكرة في إنتاج طائفة حقيقية للاضطلاع بمهام التغيير والتجديد..

يقف دون هذا الأفق العالمي عقبة كئود وهي المربي المحدود الأفق، وتتلخص محدوديته في جانبين:

١-أفق فكري وثقافي:

-وترى ذلك في أن المربي نتيجة ضيق تصوره لأصول الدعوة وآفاقها وإدراكه لكليات الشريعة ومقاصدها الكلية

وسيرة النبي ﷺ وقادة الأمة في إدارة الأشخاص والمؤسسات فقد يقتصر تصوره لخدمة الدين في أبعاد مرحلة زمنية معينة أو بعد مكاني جغرافي معين، وهو في الحقيقة قد يتغير مع المربى، وحينها لا يكون مؤهلًا للقيام بشؤونه، ويكون ممن يحسن ذلك ولكن كاليد التي ضمرت من السكون، وتراه أيضًا -بتلك المحدودية- في قصر خدمة الدين في طريق واحد قد أثبت المربي فيه نفسه، فقد تغلب عليه قضية تحقيق ذاته من خلال مربيه في أن يورثوا مهمته - التي قد تكون علمية أو دعوية أو إدارية - دون النظر لعقلياتهم وقدراتهم التي قد تختلف عن ميوله لا سيما إن كانت أمرًا جديدًا حادثًا على بيئة فرضتها ظروف معينة -كالأدب والترجمة والتنمية البشرية والإدارة أو التاريخ أو علم الاجتماع وغير ذلك - أو تفوق قدراته في نفس المجال..! وهو في كل ذلك لا يصرح ولكن الواقع العقيم خير شاهد.

٢-أفق نفسي ووجداني:

وهــو يتمثل في محدودية نفســية المربــي، ونقص عباداته القلبية فيسقط في أمراض النفوس والقلوب من الحسد والغيرة المذمومة والاستعلاء والبغي والاستطالة والكبر فلا يريد أن يرى من هو أفضل ويكون لسـان حاله إذا رآه ﴿لَأَقْتُلَنَّكَ﴾ وذلـك الـذي يؤدي لصـراع الأجيال بيـن الصغيـر والكبير لا علاقة التآزر بين التراحم والتوقير..

وإذا تأملت فستجد أن المربي المحدود هو ضحية مرب محدود آخر، فكيف سنحاسب الضحية على أنه جان..؟!

وإذا نظرت إلى البعد الآخر من المربين تراهم يتساقطون وهـم أيضًا ضحايا، فـإذن العلاج يتبلور في طفـرة تأهيلية في الجانبين ..لا تفي بهـا تلك الأوراق بل تحتاج إلى تنظيرات أعمق وتطبيقات أوسـع، ولكن هذه السطور تذكرة وصيحة نذيـر وفتـق لمكنون الآلام لتلـك الجروح التـي تغلق غالبًا

من غير تطهير فغالبًا تؤدي إلى غرغرينة ويقطع العضو.. ونجمل ذلك في رسائل لكل من المربي والمربى..

اعلم أيها المربي:

- أن عليك مسئولية في تأهيل ذاتك للتواصل مع الأجيال واستيعاب القدرات وهذا يتطلب مستوى معين من الثقافة الشرعية وأدوات التواصل والذكاء الوجداني.

- اعلم أنك غارس في أرض القلب عند مربيك..

فانظر ماذا تغرس..

- اعلم أن الزهرة إذا ذبلت منك والعود انكسر قد لا يعوض.

- مهمتك أن تتفتح الزهور على يديك وليس أن تذبل، فاجعل التقويم مابين الحزم الرحيم والرفق والشفقة.. وتكون سياسة العمل شد الأزر وتقوية الظهور والكف عن المضار والأمراض النفسية في نفوس من تؤثر فيهم

لا بالصدام والكسـر ولكن باستيعاب أن طريق العلاج أولها الوقاية ثم المداواة وآخرها الكي لرحمته.

- اكتشاف الطاقات وتوجيهها فيما تحسن، فأنت لا تريد تحقيـق ذاتك وإنتاج نسـخ منك، بل تريـد إعلاء كلمة الله في النفـوس كل على حسـب طاقته وميوله، ولا بـد من إيمانك بالتخصصية الذي يؤدي للإبداع بعيدًا عن ذاتك بالنسبة لهم.

- أجرك عظيم ودورك جليل في التأثير في الأجيال، وعلى قدر العلم والعمل والإخلاص والبصيرة والبذل تكون تاجًا علـى رؤوس من تربيهم، وعلـى قدر الإهمال والاسـتهتار الناتج عن سوء الفهم أو مرض القلب يكون التجني والاعتداء على تلك الأجيال، وقد تصد عن سـبيل الله بذلك ﴿وَتَذُوقُواْ ٱلسُّوٓءَ بِمَا صَدَدتُّمۡ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [النحل:٩٤] ويكون الوزر عظيمًا والذكرى في الدنيا أليمة.

أيها الناشئ المربى:

- اعلـم أنها حياتك ودينك الذي هو أغلى من شـحمك

ولحمك، فلابد من التضحية والبذل رغم الآلام والجراح.

- وإياك أن تقصر في حق نفسـك ودورك في خدمة دينك وتتنـازل عنه، ولا تنتظر أحـدًا ولن ينفعك أحد حين تمضي الأيام وتفوت فرصة الحياة.

- وطن نفسـك على التوقيـر للكبير و الاسـتفادة منه إن أصاب وعذره وحسن الظن به إن أخطأ.

- وطن نفسـك علـى تعدي الخطأ وعـدم الوقوف عنده والاسـتفادة من الأخطاء لعدم تكرارهـا وتفاديها في حياتك وحياة من تؤثر فيه.

- اترك كل العوائق وانطلق لهدفك وعلى قدر إخلاصك تفرض نفسك على الواقع.

- اعلـم أنـك سـتكون مربيًـا في يـوم من الأيـام فلا تعق شيخك لأنه كما تدين تدان...فبر أباك يبرك ابنك ..!

- المصلحة واحدة وهي إعلاء كلمة الله والمسئولية علينا

جميعًا متساوية فما قصر فيه أخوك أو شيخك قمت به أنت..

فصل من قطعك..

وأعط من حرمك..

واعف عمن ظلمك ..

وليعلـم كل مـن المربـي والمربـى أن ديـن الله منصـور والمسـتقبل له بنـا أو بغيرنـا، فنحن نحتـاج أن نخدمه بكل متـاح وممكن خدمة إتقـان وتفان و مرتفعين فـوق العوائق الداخلية والخارجية.

والله ولي التوفيق.



التعامل مع سير السلف في اجتهادهم في العبادة بين الإفراط والتفريط

كثيرًا ما نقرأ سير السلف في اجتهادهم في عبادتهم -في صيامهم وقيامهم- لإحياء قلوبهم، ونلمس هدي هؤلاء النبلاء في سيرهم إلى الله وتعاملهم الراقي في علاقتهم بربهم، ولكن تعاملنا إما أن يكون غاليًا أو جافيًا..

بحيث **الأول** يؤدي إلى جلد الذات و يصبح سياطًا يعذب بها السائر إلى الله، وقد ينفر وتنكسر إرادته، وقد يصاب بالهزيمة النفسية أمام هذه السير الفذة.

والثاني يكون قد خسر الاستفادة من هذه السير باستهتاره وإهماله وهو مقصر تمام التقصير..!

ولذا أحاول في هذه الثمان همسات أن أوضح كيفية استيعاب تلك السير وهضمها والاستفادة منها رغم الشقة التي

بيننا وبينها فهمًا وفقهًا وواقعًا، وهي كمفاتيح لمعالجة المادية القاحلة والتقصير الشديد في ذلك الجانب والتشوه المحسوس والمنظور في بناء الشخصية في الصف الإسلامي..

١ قد يتساءل البعض حين ينظر لهذه السير لماذا كل هذا الاجتهاد ؟؟!

وقد يخيل إليه أن هذا من قبيل المبالغة والتكلف والغلو..

والإجابة ببساطة ووضوح: (كلما ازداد وثخن إيمان العبد كلما زادت شفقته على نفسه واجتهاده في الطاعة، والعكس بالعكس: كلما نقص إيمانه كلما قل عمله مع الأمن) كما قد جاء في الحديث حين سألت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمۡ وَجِلَةٌ أَنَّهُمۡ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ رَٰجِعُونَ﴾ [المؤمنون:٦٠] قالت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يارسول الله، أهؤلاء الذين يزنون ويسرقون ؟ قال: «**لا يا ابنة الصديق، هؤلاء الذين يصومون ويصلون ويتصدقون ويخافون ألا يتقبل منهم..**»

وهذا قول الحسن حين ذكر له خشية عمر رضي الله عنه حين موته: (هكذا المؤمن جمع إحسانًا وشفقة، والمنافق جمع إساءة وعزة، والله ما وجدت إنسانًا زاد إحسانًا إلا وجدته ازداد مخافة وشفقة، ولا ازداد إساءة إلا ازداد عزة..)

فلا داعي للمغالاة في تعطيل تلك السير عن فوائدها.

٢ الاجتهاد بالنسبة للمحسن لا يتجزأ فهو قد تمكن في الفرائض أولًا ثم النوافل، ولا تستقيم النوافل إلا بعد الفرائض كما جاء في الحديث القدسي: «**وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضته عليه، ولا يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه**»..

وبالنسبة للمجتهد في عبادته: الاجتهاد في النوافل تحصين للفرائض، ولذلك تسمع أقوالًا منهم مثل: «إما الاجتهاد وإما الهلكة»، وآخر يذهب لصلاة الجماعة وقدماه تخطان الأرض..!

٣ التعامل مع هذه السير يكون محبطًا وكئيبًا لمن لم يفقه سنة الربانية ﴿وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ﴾ [آل عمران:٧٩]

قال ابن عباس رضي الله عنهما: الرباني الذي يأخذ بصغار العلم ثم كباره، وهذا في العلم والعبادة والدعوة، وهي سنة التدرج والتدرب والمراس حتى تصبح العبادة ملكة، فلا ينبغي أن تأخذ لنفسك أو في طرحك الدعوي المشهد الأخير من حياة أئمة السلف بعد طول مجاهدة وعناء وكد..

قال ثابت البناني:
جاهدت نفسي في قيام الليل عشرين سنة ثم استمتعت به عشرين سنة ..

فلا ينبغي تناول هذه السير بسطحية، فسطر منها يساوي عمرًا واجتهادًا وبذلًا وتضحية سنين..!

٤ العبادات الظاهرة أوعية لنزول البركات والرحمات في القلب، والعبادات الظاهرة كطرق أبواب الأرزاق الروحية والقلبية ..

فكلما عظم الوعاء وتتابع الطرق على الباب ..فتح على

العبد ومليء الوعاء على قدره ﴿إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف:٥٦].

٥ الاجتهاد في العبادات الظاهرة متنوع بتنوع الشرع فيه، وبتنوع المواهب والقدرات، فالواجب عليك في نفسك وفي طرحك الدعوي للسائرين إلى الله أن تبين أنه ينبغي علينا وعليهم أن نعرف ما نصلح له وما يصلح لنا على حسب طاقاتنا وقدراتنا والجهاد فيه حق الجهاد واستفراغ الوسع فيه..

وليس كل الصحابة -**رضوان الله عليهم**- أبابكر موسوعي الطاقات..وليس كلهم ابن عباس أو خالد..بل «**كل ميسر لما خلق له**» وليس التقيد بصورة الأعمال من الربانية في شيء، ولكن حقيقة الربانية هو بذل الوسع فيما تحسن لكي تصل إليه سبحانه، ولهذا قال ﷺ: «**سبق درهم مائة ألف**» لتفاوت طاقة المنفقين..

فكل شخص منظومة متكاملة مختلفة عن الآخر، وإنما يستفاد بالسير للنظر في اجتهاد السلف الهائل فيما يحسنون

من ملكات وكيفية التضحية في الوصول إلى الله من خلاله..

فليس القضية في استفراغ الوسع فقط في القيام والصيام والذكر، ولكن إن كنت تحسن هذا فذاك وإن كنت تحسن غيره من طلب العلم والمذاكرة أو الدعوة والبلاغ أو مساعدة اليتامى والمساكين أو غير ذلك فهذه ساحتك التي فيها لابد أن تنهض وتتميز وتبدع وتسبق..!

والناس درجات ودركات.. فتعاملك مع المدعوين قائم على ذلك، فليس الأعرابي الذي قال عنه ﷺ: «**أفلح إن صدق**» كابن عمر رضي الله عنهما الذي قال عنه: «**نعم الرجل عبد الله، لو كان يقوم من الليل**»

٦ ينبغي من بيان المنهج وأن أفضل الهدي هدي محمد ﷺ وأنه الأفضل، وأن سواه مفضول وليس بسيء أو قبيح فهو خطأ في الاجتهاد ولكن عليه أجر وثواب.. وهم حاشاهم أن يتعمدوا المخالفة أو التقليل من عبادة النبي ﷺ، فلابد من الاعتراف لأهل الفضل بالفضل، وكما نرفع عنهم

الملام في الأمور العلمية باحتمال الاجتهاد في الخلاف السائغ والإنكار المتأدب في الخلاف الغير سائغ فهكذا فليظهر الأدب حين نطرق باب العبادة والسلوك إلى الله في حياتهم، ولنستفد ولنعالج تقصيرنا حتى في تطبيق خير وأيسر الهدي هدي محمد ﷺ من خلال سيرهم..!

٧ هناك خلل واضح وعدم توازن ملحوظ في إنتاج الصحوة الإسلامية عامة بين العلم والعمل والسلوك والصحوة السلفية خاصة في الشخصيات، وهذا يرجع لأصل النظرة الأحادية في التربية، ولابد من شمولية العلم والعبادة والعمل والدعوة، والتخلص من المادية القاحلة بثورة قلبية تألهية تعبدية متجردة لرب العالمين، وفتح الآفاق لتراث الزهد والسلوك السلفي المنضبط.

٨-ينبغي لقاريء هذه السير ومستمعها ألا يتعجل أثرها في قلبه ويحصلها ريثما يفتح الله على قلبه ويرزق العمل؛ فالسعادة نصفان علم وعمل، فمن حصل الأولى بصدق

وإخلاص عسى الله أن يرزقه النصف الثاني، فيكون العلم كالمخزون الاستراتيجي الذي لا تدري متى تحتاج إليه حين يزال الحائل بينك وبين قلبك ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ﴾ [الأنفال:٢٤].

واثبت على المجاهدة إلى الممات فالإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي والغفلات، وأنت بين طاعة وغفلة ومعصية فتدارك الإساءة بإحسان وتوبة وإنابة، واعلم أن الله لا يمل حتى تملوا فلا تفتر ولا تمل.

هذه ثمان همسات لاستيعاب سير السلف في اجتهادهم الهائل في العبادة والاستفادة من ذلك التراث العظيم..

أسأل الله أن ينفع بها والله ولي التوفيق.

عناقيد دعوية

(١٣/١) سباق الحياة

إذا المرء لم يعد لنفسه دراسة جدوى في تلك الحياة فإنه سوف يخسر كثيرًا وللأسف سوف يعيش صغيرًا ويموت صغيرًا ولم يؤثر في هذه الحياة ولم يعبّد الدنيا بدين ربها ..

وهذا يتطلب من الإنسان أن يسابق الأنفاس في مرضات الله تبارك وتعالى، بل يسابق الريح في فجاج الحياة يتعلم العلم النافع يقرأ ويرتقي في مدارج الإيمان..

ويتعلم نكت الفقه والأصول وتتسع مداركه لتستوعب هذه الشريعة الغراء و يغوص في أغوار التراجم ليحيا حياة الصحبة بهؤلاء الصالحين وإن تباعدت بينهم السنون والليالى ..

نعم يوسّع ما بين خطواته في ميدان العمل الصالح ويرسل طرفه دائمًا إلى أفضل الأعمال وفضائلها، فإن العمر قصير

والمكث في القبر طويـل والوقوف بين يدى الله يوم العرض كفيل بالإنسـان أن يصـف قدميه على عتبـة العبودية ويمرغ خديه بين يديهـا حتى يباعد الله بينه وبين خطاياه ، ولا يُغفل حسـن الخلق وصلـة الرحم وبـر الوالدين والإحسـان إلى الجار والفقراء والمسـاكين وابن االسـبيل فإن ذلك ثقيل في الميزان، ولا يبخل بالذكر فإنه أنجى عبادة له من عذاب الله، وهكذا الصدقات التى يأخذها الله تبارك وتعالى بيده ويربيها لعبده كما يربى أحدكم فلوه (فرسه الصغير) ..

وهكذا لا تتوقف روحه السـامية عند هذا الحد بل تتطلع لآفاق أعلى وأشرف ..

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [فصلت:٣٣] ...

أن يبلـغ دعـوة ربه ويدعو النـاس لإجابـة الله فيما أجابه هو فيه..

وعلـى قدر إخلاصه وصدقـه يبلغ الله عنه ويرفع قدره في الدنيا والآخرة ....

اللهم لا تحرمنا بذنوبنا فضلك...

(١٣/٢) قال الشافعي: صاحبت الصوفية فلم أستفد منهم إلا كلمتين:

* الوقت كالسيف إن لم تقطعه قطعك..

* ونفسك إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل..

الفراغ مناقض لحقيقة الابتلاء والامتحان في الحياة الدنيا..

قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ والعصر هو الزمن.. فلا تضيع لحظاتك وأوقاتك وأنفاسك..

فهي لا تزال.. تعصِرُك عصرًا حتَّى يستحيلَ جسدُك الغضُّ الطريُّ جيفةً يعلوه الترابُ وتُنزع منه الروح ويفقد الحياة ..

ولا يبقى إلا أحد المصيرين .. الخسران .. أو نعيم الحيوان .. ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت:٦٤].

(٣ / ١٣) انظـر وتأمـل إلى هـذا الجبل الشـامخ في سماء المجد إبراهيم الخليل عليه السلام الذى لا يكاد يمس بقدمه الشـريفة أرضًـا ولا يحرك شـفتيه بدعاء إلا يبـارك فيها رب الأرض والسـموات وينزل عليه من بركاته ورحماته وفضله وخيره ورزقـه .. حين يدعو ويقول ﴿وَٱجۡعَل لِّي لِسَانَ صِدۡقٖ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ﴾ [الشعراء:٨٤] ..

أي: لا يأتـى أحد بعـده إلا وهو يثني عليه ويعطر لسـانه بذكره ويشـنف أسـماعه بهـذا الذكـر العاطر لذلـك الرجل الأمـة، فأصبحنا لا نكاد نخلو في اليوم والليلة من ذكره على الأقل ٥ مرات في أوقات الصلوات ..

إنـه رزق من الله على قدر مـا في قلبه ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ تَعۡلَمُ مَا نُخۡفِي وَمَا نُعۡلِنُۗ﴾ [إبراهيم:٣٨] .

وعلى الجهة الأخرى ترى مفارقة عجيبة حين يخلص ذلك القلـب لمحاربة الله والفسـوق مـن طاعته وشـرعته ومبارزته بالعصيـان ويجهـر و يفخر و يصر و يسـتكبر و يتولى ويعرض

ويكفر فيكون كفرعون وهامان وقارون ...

فيكون الغضب والعقوبة على قدر ما في قلب هذا الإنسان من الإصرار، و ينتشر مذهبه في الكفر والمعصية فيدل عليها أو البدعة فيكون كفاعلها لا ينقص من أوزارهم شيئًا، إنه العدل الإلهي، المطلق والمفارقة العجيبة بين درجات وذرى المجد والنعيم الأخروى وبين دركات النكد والشقاء والعذاب الأبدي ...

﴿ ٱنظُرۡ كَيۡفَ فَضَّلۡنَا بَعۡضَهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖۚ وَلَلۡأٓخِرَةُ أَكۡبَرُ دَرَجَٰتٖ وَأَكۡبَرُ تَفۡضِيلٗا ﴾ [الإسراء:٢١].

فهذا التفاضل في الحال في التصورات والإرادات والهمم والاجتهادات في الدنيا ﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ﴾ وفي المآل والمصير في الآخرة ...

جنة الفردوس الأعلى ...

والدرك الأسفل من جهنم والعياذ بالله ...!!

وكل مبني على ما يسلكه الإنسان من طريق ..

ويختار.

(٤ / ١٣) عندما ينسحب بساط العمر من تحت قدميك ... وتتساقط أوراق شجرة عمرك في خريفها ورقة ورقة ... وتنظر إلى قلة الزاد في سفرك البعيد ... فعليك بحبل الرجاء الممتد إلى السماء .. الدعاء ..

﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ٢٦ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ٢٧ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴾ [الطور].

فلم يذكروا عملًا إلا الدعاء ...

وكأنه هو حقيقة السير لله البر الرحيم ...

وقد وصف الله خلاصة البشر فيمن ينسبون لذاته المقدسة واسمه «الرحمن» ثم أبان أن الطريق إلى ذلك ... دعاء ... وأنه لا يبالي بخلقه لولا دعاؤهم ...!!

﴿ قُلۡ مَا يَعۡبَؤُاْ بِكُمۡ رَبِّي لَوۡلَا دُعَآؤُكُمۡۖ فَقَدۡ كَذَّبۡتُمۡ فَسَوۡفَ يَكُونُ لِزَامَۢا ﴾ [الفرقان:٧٧] فاختُصرت العبادة في دعاء...

قال ﷺ: «**الدعاء هو العبادة**»

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾..

فالشرط.. أن تعبد.. أن تتذلل.. أن تتضرع.. أن تنكسر.. أن تفتقر.. أن تدعو ..

(٥ / ١٣) ثـورة قلبيـة «الكلمـة الرقيقة الحانية دقت أبواب الحياة»

إنها ثورة عارمة.. ثورة عاتية .. ثورة هائلة...

ثورة على الطغيان المادي .. على المعاصي والمخالفات.. على الأمراض الإبليسية.

ثورة على صولجان الباطل في سبيل الحق.

شـملت الحياة البشـرية بأسـبابها وموجباتها .. ومبادئها واعتقاداتها وماادياتها ومعنوياتها .. وشاهدها وغائبها ..

وخصائصها ومفاهيمها.. وقيمها ومقوماتها.. ومعاملاتها وسـلوكياتها شـاملة لـكل ميادين تلـك الدنيا ومـن يعيش فيهـا .. إنهـا انقـلابٌ حـدث في كل معاييـر الحيـاة .. لترنو

إلى الإصلاح.. ﴿وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا﴾ [الأعراف:٥٦]...

﴿إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الأنفال:٧٠] ..

ليست لأي قلب.. بل لقلب له صفات وعلامات .. قلب انقلب على نظام الحكم المستعمر الغشوم الظلوم للنفس الأمَّارة بالسوء العميل الخسيس لذلك العدو اللدود الشيطان الرجيم.

ثورة لا تريد إلا قلبًا سليمًا من كل شرك وبدعة وشبهة وشهوة وهوى وغفلة .. الثورة من ذلك القلب على أعدائه من المعاصي والمخالفات والشبهات والشهوات وما يتفرع عليها من عجب وكبر وحسد ونفاق ورياء ..

والمخاوف الأرضية والمعوقات دون الوصول إلى الله..

يحتاج هذا القلب إلى هذه الثورة الشاملة لتفكه من قيوده وأغلاله وتتيح له الفرصة لتكون أزِمةُ الأمور بيده لتعود الحياة لها طعم مرة أخرى ومذاق عذب يعيد إلى هذه الحياة

معاني حب الله والحب في الله ليس الغدر القبيح والطعن في الظهر..

نعيد للحياة ابتسامات الفقراء واليتامى والمظلومين، ونصبو لانقشاع النكد عن قسمات وجوههم ...نعيد الكلمة الرقيقة الحانية لتطرق أبواب أحاديثنا وكلامنا مع بعضنا البعض قال تعالى: ﴿ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ﴾.

وقال ﷻ: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران:١٥٩] نعاود النظرات البرة الرحيمة إلى عيوننا لا نظرة الحسد والحقد الدفين والحرص والشح ..

إنها ثورة على كل الآلام والهموم والأحزان التي تسبب فيها.. حبس ذلك القلب في سجن النفس الأمارة بالسوء.. امتلأت الساحات..ويموج الناس يصرخون.. ويهتفون ويرفعون شعارها:

قلب سليم .. للوصول للعليم الحكيم.



(٦ / ١٣)
عنقود مر

٦- لا تلتفت ...

قد يُساء فيك الظن ولا يُعرف قدرك وقد تُعاب و قد تُلام على ما هو سر فضيلتك في الباطن ... وفي ظاهر الأمر لا يبدو كذلك للناس فهم لا يحكمون إلا على الظاهر، فكم في الزوايا خبايا وكم في الناس بقايا .. فالنصيحة لك أخي ... لا تلتفت...

وليكن شعارك دائمًا إن كان الناس لا يعلمون ... فإن الله يعلم .. يعلم أننا لانريد من الدنيا والآخرة إلا وجهه -تبارك وتعالى-، وسوف يدافع ويدفع عنك ويكفيك مؤنة الناس... أصلح ما بينك وبين الله ..يصلح الله مابينك وبين الناس..

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ [الحج:٣٨].

﴿ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾ [الزمر:٣٦].

(٧ / ١٣)
عنقود للإصلاح

٧- ﴿ وَٱلَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِٱلْكِتَٰبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾ [الأعراف:١٧٠].

أخي الحبيب... الدنيا سوق يوشك أن ينفض وتمر الأعمار وتنقضي ولا يبقى إلا العمل لله والعمل لخدمة ذلك الدين، وهذا يُطلق عليه الإصلاح..

فالإنسان يكون مصلحًا حين يكون صالحًا في نفسه في اعتقاداته وأعماله وأخلاقه، ثم يُصلح من حوله من الناس والمجتمع...

والمصلح له صفتان لا ينفك عنهما أبدًا وهما:

١- التمسك والاستمساك بالكتاب.

٢- إقامة الصلاة.

فالأول: أن يكون القرآن زاده ومنهج حياته كلها يتحاكم إليه في كل صغيرة وكبيرة ويستزيد من أنواره ويسير إلى الله

بأشـواقه ومواجيده التي يجدها في طيـات الآيات، ويجاهد نفسـه في تحقيق درجـات الهداية المبثوثة فيـه، ويثبت على ذلك الاستمساك ﴿ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ﴾ [الزخرف:٤٣].

والثاني: الصلة التي تحيي القلب والروح.... الصلة بالرحمن في مناجاته في الصلاة في القنوت في الركوع في السجود في الدعاء والابتهال ...قال رسول الله ﷺ: «**الصلاة خير موضوع**»

أخـي الحبيـب... إذا أردت أن تكـون صالحًـا مصلحًـا فعليك بهاتين الوسـيلتين، وإذا شكرت وأنبت إلى ربك فإنه يزيدك فضلًا وهدى على قدر ما في قلبك له تبارك وتعالى..

قـال تعالـى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَـٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعـراف:٥٦] عليـك باتبـاع سـبل المصلحيـن الحقيقييـن؛ الأنبياء والرسـل صلوات الله عليهم وسـلامه كما قال شعيب عليـه السـلام ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَـٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هـود:٨٨] ... وهـذا هـو الإصـلاح الحقيقي للعالم..!!

(٨ / ١٣)
عنقـود واقعـي

٨- نصرة الدين..

نصرة الدين شـرف، وكلنا على ثغر من أجل هذا الهدف السـامي: «**ثم تكـون خلافة علـى منهاج النبـوة**» ولكن هذا الثغـر بين غافـل ومقصر ...!! غافل لا يعلم مـا بين يديه من قدرات ومواهب، ومقصر مفرط يعلم ولا يعمل...

وقـد لا يختار الإنسـان الثغر الـذي يوضع فيـه وهذا هو المحك والابتـلاء لمعرفة صدق محبتـك .. فأنت ليس لك خيـار مع سـيدك وتؤثر مراضيـه على مراضيـك عند غلبات الهوى ..

والعجيب أن قد يكون هذا الهوى في عبادة وطاعة أخرى، ولكنها مفضولة بالنسـبة للشخص أو الوقت، وهذا من حيل إبليس للتلبيس وتعطيل العارف عن مواصلة سيره إلى الله..

فالعالم العاقل هو الذي يسد ثغرته إقامة للعبودية، وإن كان شاقًا فيهون في جنب حب الملك -تبارك وتعالى-، وإن كان في الحراسة أو القيادة أو الساقة أو حتى فيما لا يجد نسبيًا ميلًا إليه فيعمل على القيام به على قدر طاقته حتى تتوفر الطاقات المتفرغة لهذا العمل، ولا يغفل عمله الذي يحسنه، ويقتطع لذلك وقتًا ولو من النوم والطعام ... وليس معنى هذا عدم مراعاة التخصص والميول في الأعمال الدعوية ... ولكن مراعاة أيضًا الظروف والأحوال والاحتياجات التي تحتاجها الدعوات في فترة من الفترات ..



(٩ / ١٣)
علامة الإخلاص

٩- يشعر الإنسان بحلاوة الإخلاص حين يسمع التوجيه والنصيحة ولا يجد لذلك حرجًا في صدره ولا تأخذه العزة بالإثم ولا تتكبر نفسه عن قبول الهدى والخير.

هنالك يعلم المرء أن غايته الحق ورضا الله مهما كان الناصح والموجه !! ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾ [البقرة:٢٠٧].

وذكر الله على سبيل المقابلة من يفارق تلك الصفة ..
﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ [البقرة:٢٠٦].

فمن يرجو رضوان ربه فيقبل النصح من كل الناس .. كبيرًا أم صغيرًا صديقًا أو عدوًا.

وكان الشافعي يقول: ما ناظرت أحدًا فقبل الحق

إلا هبتـه وزاد في عينـي.. وما ناظرت أحـدًا إلا وأحببت أن يظهر الله الحق على لسانه...!

وكان الذهبي يقول: علامـة المخلص الذي قد يحب الشهرة وهو لا يشعر أنه إن اتُهم لم يحرت.. أي لم ينكر بل يعترف ويستغفر.



(١٠ / ١٣)
الكيانات الإسلامية

١٠- **الرحمة** .. منطلق مفقود في دعوتنا وصحوتنا داخل البيت وخارجه، وفي أخلاقنا وفي أدبيات خلافاتنا مع الموالف والمخالف داخل مؤسستنا وغيرها ..

ولذلك لا نزال نكلم أنفسنا، و دعوتنا محصورة في فئة دون فئة و طائفة دون طائفة ..محجرة عن العالمية و القرب من قلوب وعقول الجماهير لفقد هذا المنطلق..!

لا بد أن تختفي من حياتنا ودعواتنا التعدي والتكفير والتنفيق بالباطل وتيئيس الخلق من رحمة ربهم بلسان الحال أو المقال: «والله لا يغفر الله لك» أو «ليس لك توبة» والقسوة على المخالفين أو المبتدعين بالشماتة أو الفرح فيهم حتى مع أذاهم .. والتعيير والتنابز بالألقاب، فرحمة الله واسعة تسع كل شيء، و ذنوبهم مهما عظمت فهي شيء،

فرحمته حرية بأن تدرك مثل فرعون، فما بالك بمن دونه ..!

قال جبريل عليه السلام لمحمد ﷺ: «**لو رأيتني يا محمد وأنا أدس الطين في فم فرعون مخافة أن تدركه الرحمة**» فلتكن بالرحمن خبيرًا تدل عليه بسمتك وأخلاقك وسلوكياتك ودعوتك.



(١٣ / ١١)

اللهم إليك نشكو ضعف قوتنا

١١- «ولكنكم غثاء كغثاء السيل»

فالغثاء خفيف في الوزن ...مشتت...لذلك لا أثر له ولا قدرة على توجيه تيار الأحداث وصناعة التاريخ...

والخروج من الغثائية...يكون:

- ببناء الشخصيات الثقيلة في ميزان التاريخ بصلاحها وإصلاحها وارتباطها بالكتاب العزيز ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾ ببناء الشخصيات القرآنية.. والرجال الرواحل .. إيمانًا وعبادة ومعاملة وسلوكًا ودعوةً ..

- وببناء تلك العلاقة الربانية.. الأخوة في الله والاعتصام بحبل الله والتعاون على البر والتقوى.. والتكتل والاجتماع للقيام بفروض الأعين والكفائية، وحسن إدارة الطاقات وتوظيف القدرات داخل ذلك الاجتماع يعوض ضعف الشخصيات...

علينا أن نسعى في نفع الناس والعالم بأسره لنخرج من ذلك الواقع ...

﴿فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِ﴾.

اللهم اجعلنا من جنودك الذين تستعملهم في طاعتك ونصرة دينك.



(١٢ / ١٣)

تُخمة الكتب

١٢- **قد يصنع الواحد منا مكتبة** مليئة بنفائس الكتب وأمهاتها أيضًا، ولكن يظل العمر الطويل لا يستفيد شيئًا من هذه الكتب إلا إذا كان أوقفها لله فأجره جارٍ، أو يعير أحد إخوانه فيستفيد منها فيؤجر هو على ذلك ولكن لا بد من وضع خطة عملية واقعية لاقتحام أغلفة ودفات الكتب وكسر هذا الحاجز النفسي القائل:

(إنها كتب تفني الأعمار ولا نقرؤها)

كيف وقد كان العمر مواتٍ لهؤلاء الذين تعلموا وقرءوا وفهموا وحفظوا وألفوا هذه المجلدات.؟؟ فكيف لا يفي العمر بالقراءة فقط ؟؟؟

ولكن هي همة وإرادة ومثابرة وخطة واضحة، ومن هذه الأربعة يتضح الفرق.

(١٣ / ١٣)
الحب عاطفة جياشة

١٣- إن أعظم شئ يحتاجه الإنسان في هذه الحياة أن يعيش يحب ويُحب .. فكثيرًا ما يحتاج الإنسان في حياته إلى من يحنو عليه ويحتويه ويؤويه إلى صدره ويفهمه من عينيه لأنه لا يستطيع أن يعبر الآن باللفظ، ولا يكون ذلك إلا في قاموس لغة المحبين الصادقين..

فإنك إذا نظرت إلى أبى بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كيف ملأ حب الله تبارك وتعالى شغاف قلبه وفاض هذا الحب على ظاهره فلا يستطيع أن يدخل في الصلاة حتى يغلبه البكاء لأن الدموع هى أصدق ما تخاطب به الأحباب .. وهو يخاطب المحبوب الأعظم تبارك وتعالى ...

وفاض هذا الحب حتى جرد حبه لله وفي الله، فانظر كيف أدى حق الصحبة للنبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فكان يفهمه من إشاراته وألفاظه

البعيدة إلى المعاني المقصودة، فحين ذكر ﷺ أن عبدًا خيره الله بين زهرة الحياة الدنيا وبين ما عنده فاختار ما عنده بكى أبو بكر رضي الله عنه، فعجب الصحابة رضي الله عنهم وقالوا ما يُبكى هذا الشيخ؟؟ وكان أبو بكر أعلمهم برسول الله ﷺ أنه قصد نفسه وهو العبد المخير ...

وحين جاء أبوه -أبو قحافة- مسلمًا يوم الفتح بكى أبو بكر رضي الله عنه؛ لأنه تمنى أن يد أبيه تكون يد عمّ النبى ﷺ، وأن الله أقر عينيه بإسلامه .. يتذكر أبو بكر حزن النبى ﷺ في مكة منذ أكثر من ١٠سنين في فتح مكة ٨ بعد الهجرة!!

هذا هو الحب عباد الله، الحب يصنع المعجزات .. يصيغ الإنسان صياغة أخرى .. يجعله يتعامل مع الناس بشكل مختلف راقٍ فياض بالمشاعر رقراق وبحسن ظن وبسعة صدر لأن هذا القلب في الأصل قد استغنى بحب الله، وأحب هؤلاء لله تبارك وتعالى فلا تشوش تلك المحبة التي من باب الوسائل على المحبة العظمى التى من باب المقاصد.

ولكـن السـؤال: أين نجـد ذلك الحـب وتلـك العاطفة المتبادلة بكل ما تحمله من معان تو ددية وتعبدية لله .. فنتعبد لله بحبنـا له وفيـه؟!.. أين تجد ذلك الشـخص الذي يفيض عليـك من حنانه وتنظر في عينيه ولا ترى إلا الإخلاص لربه -تبـارك وتعالـى- يملأ حياة من حوله حبًا وهو لا يسـتغني عن حظه الأعظم من محبة ملك الملوك ؟؟

سؤال يحتاج إلى تنفيذ ..

وليس إجابة....



زاد المهاجر إلى ربه

إنَّ العبدَ الصالحَ المُحبَّ لربِّه تبارك وتعالى في مشوار حياته دائمًا مهاجر إلى ربه تبارك وتعالى مع كل نفسٍ من أنفاسِه .. يهاجر إلى الله بقلبه بتجديد ميثاق المحبة والإخلاص والخوف والرجاء لا سيما في عباداته .. صلاته .. صيامه، وبتجديد توبته النصوح، فهو يستقل بتلك الأنفاس التي يقدمها لربه قربانًا فيستغفر وينيب إلى إلاهه ومعبوده ..

إنه قلب رحل عن الدنيا وأجوائها وقد حلق في آفاق السماء شاقًا لطريقه إلى ربه فلا يرضى بدون السجود تحت العرش ..

ولذلك تجد الجوارح مهاجرة عن المخالفات والمعاصي إلى الطاعات والقربات، فقد قال ﷺ «**المهاجر من هجر ما نهى الله عنه**».

وهجرة أخرى... إلى رسول الله ﷺ اتباعًا وطاعةً

واقتداءًا .. بقراءة سيرته العطرة وسنته الفياضة وكثرة الصلاة عليه راميا إلى مرافقته في الجنة ..

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا﴾ [النساء:٦٩].

إنها هجرة تستغرق أيام العمر حتى تحط رحالك على ساحل الآخرة بعدما خضت بحر الدنيا...

﴿وَمَن يُهَاجِرۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ مُرَٰغَمٗا كَثِيرٗا وَسَعَةٗۚ وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [النساء:١٠٠].



اللهم أصلح قلبي

شكوى الفتور وقسوة القلب وتشربه الفتن وتقلبه وعدم الثبات على المستوى الإيماني في مجالس الذكر...

نفس شكوى حنظلة رضي الله عنه: «نافق حنظلة»، «**إن الإيمان ليخلق في جوف أحدكم**» وعلاجها:

أن نعلم أنها حالة لا انفكاك عنها ولابد من فهم أنها من طبيعة الطريق إلى الله، و أن الإيمان يزيد وينقص يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي .. فلا داعي للإحباط واليأس..

ثم:

١- دوام الاتصال بالذكر والتلبس بالوحي والعلم من خلال مجالس الذكر..

قال ابن الجوزي رحمه الله «المواعظ كالسياط» فكلما بعد أثر الضرب ضعف الألم..

وهكذا كلما تباعدت الفترات بين حضور مجالس الذكر فتر القلب وقسى..

﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾ أي: من بعدها عن ذكر الله..!

٢-الحفاظ على الورد اليومي من الفرائض والنوافل؛ من الصلاة والذكر وقراءة القرآن والدعاء «**فسلوا الله أن يجدد لكم الإيمان**».

٣-صحبة الإيمان ومخالطة أهل الصلاح والتواجد في محضن تربوي، وإن لم يكن فصحبة تجد فيها على الخير إعانة ..



قلوب فوق الفتن

أعظـم فتنة سـتمر علـى وجـه الأرض عبر التاريـخ فتنة بكماء صماء عمياء..

فتنة المسـيح الدجال مدعي الألوهيـة ..يفترق به الناس بين كفر وإيمان تموج به الأرض وتمور كفرًا وفجورًا ..

يحكـي النبـي ﷺ عـن فتنتـه للصحابـة -رضـوان الله عليهم- .. معه براهين لادعائه تتبعه كنوز الأرض كيعاسيب النحل، معـه جنة ونار فناره جنة وجنته نـار، يحيي ويميت، تتبعه الشـياطين، يسـجد له سـبعون ألف من يهـود أصبهان علـى عتبة بيـت المقدس، لا يدخل مكـة ولا المدينة ولكن يخرج له منها المنافقون..

من أطهر بقاع العالم تطولها نار الفتنة ..

فتخيل كيف سـيبيع النـاسُ دينهم كله بعـرض من الدنيا قليـل بين صباح ومسـاء، بل بين لحظات من اليوم، منشـور

على مواقع التواصل الإجتماعي إيمان، ومنشـور كفر قد لا يفصلها إلا دقائق نسأل الله العافية..

وبيـن كل تلـك الأهـوال يلفـت أنظـار الصحابـة معلم مـن معالم الفتنة لا نـكاد إذا مررنا على أحـداث تلك الفتنة أرسـلنا لها الطرف ولكنها تبين البرمجة العصبية والشعورية والعقلية التي تمتع بها الصحابة رضوان الله عليهم.. «**يمكث فيكم أربعين يومًا؛ يومًا كسنة، ويومًا كشهر، ويومًا كأسبوع، وسائر الأيام كبقية أيامكم**»

في خضـم نيران الخوف التي تلتهب بها القلوب وتجذب الأبصـار يـرد الصحابـة بسـؤال معبر عن سـبيل النجـاة ..

«يارسول الله في اليوم الذي كسنة كيف نصلي فيه ؟»

عمق التربيـة بالقرآن والتلقي عن النبـي و تصور الطريق إلى الله في قلوب وعقـول الصحابة تمثل أمامهم دومًا عقلية الحل والنجاة..

والفتنـة تمـر وتمضي ويقـدر الله لهـا الفـرج والمخرج

لا تنتظر انتهاء الفتن، ولكن اسع لتحصيل ذلك القلب بالعلم والعمل ..!

الذي قد لا يخطر على قلوب المؤمنين فيحاصرهم الدجال في بيت المقدس ويريد الانقضاض عليهم بعد أذان الفجر، وما بين الأذان والإقامة ينزل المسيح عليه السلام ليكون هلاك تلك الفتنة المسيح الدجال بحربته..!

كثيرًا ما نتلهى بأخبار الفتن وتفاصيل جزئياتها وتلهينا عن حقيقة وغاية البلاء والاختبار من حسن العمل ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ الصلاة سبيل النجاة من الفتن ولو فتنة المسيح الدجال..

العبودية.. الذكر.. الدعاء.. تعلق القلوب.. «**كان ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة**» ﴿فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُوا۟﴾ [الأنعام:٤٣] عقلية تهتم بتفاصيل وجزئيات المشكلة والاستغراق فيها والانهزام دون مواجهتها لا تصلح للأبطال والفرسان والمتقين ..!

قـال طلق بـن حبيـب رضي الله عنه: «إذا اشـتعلت نيـران الفتنة فأطفئوها بالتقوى» قيل: وما التقوى ؟ قال: «أن تعمل بطاعة الله علـى نـور من الله ترجـو ثواب الله، وأن تـترك ما نهى الله علـى نور من الله تخـاف عقاب الله» نيـران الفتن وجحيمها لا تطفأ بكثرة الأقاويـل و التعالم والاتهام والغيبة والنميمة، وإنمـا بإقامـة العبودية وتحصيـل «**قلب أبيـض كالصفا، لا تضره فتنة ما دامت السماوات والأرض**»

فلا تنتظر انتهاء الفتن، ولكن اسـع لتحصيل ذلك القلب بالعلم والعمل ..!

فتلك القلوب كالغيث الذي يطفئ النيران حتى تندرس.



(١/٢)

﴿وَجَٰهِدۡهُم بِهِۦ جِهَادٗا كَبِيرٗا﴾[١]

في وسط أمواج الفتن المتلاطمة التي تموج كموج البحر المظلم من كيد ومكر الأعداء لهذه الأمة، وما تعين به الأمة على نفسها بالارتكاس إلى الظلم والجهل والإعراض عن سر قوتها وعزها في إسلامها لرب العالمين.. في وسط الاختلاف والافتراق ببدع اعتقادية وعملية داخل دائرة الإسلام..واعتقادات كفرية وإلحادية وزندقة خارج دائرته..

يحتاج العبد المؤمن إلى جنة حصينة يجتن بها في تلك العواصف وفي سعير تلك الحرب الشعواء.. يحتاج إلى ملاذ ومأوى يحمي قلبه وعقله ويذوق فيه طعم الإيمان والقرب من الرحمن حتى تعرض الفتن على قلبه فلا يشربها بل تمر عليه كالماء حين يمر على الزجاج فيزيده لمعانا

(١) مقالة افتتاحية لسلسلة مقالات تنشر بمجلة «براهين» الالكترونية المتخصصة في الرد على شبهات الإلحاد.

يكــون «**قلب أبيض كالصفا، لاتضره فتنــة**» أبيض في علمه، كالصخر والصفا في عزمه، يكون في صفائه ونقائه كالزجاجة ﴿ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ﴾ [النــور:٣٥] .. وكل هــذا لا يكاد يجده إلا في نعيم القرآن..!

القــرآن لم ينزل ليترنم به أو يطرب، أو تفتتح به المحافل بعيدًا عن صــراع الحياة وحقيقة التدافــع بين الحق والباطل والكفــر والإيمــان؛ بل أنزلــه الله منهل لتســتنير بــه القلوب وتقــوى فتكــون كالصخــر في عقائدهــا ومرتكزاتهــا أمــام الترهــات والسفســطة والارتكاســات ونجاســات العقــول والأفكار فترتد تلك الأمواج خائبة حاسرة بخُفي حُنين..!

نــزل ليتدبر ويتدارس تعلمًا وتعليمًا ثــم ليكون له القدح المعلــى في شــفاء المرضــى وتضميــد الجرحــى مــن أهــل الشــبهات من أهل الزندقة والإلحاد بمعنــاه العام من الميل عن الحق قــولًا وعملًا وســلوكًا ﴿وَذَرُواْ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ﴾ [الأعراف:١٨٠] ﴿وَمَن يُـرِدْ فِيـهِ بِإِلْحَـادٍۭ بِظُـلْمٍ نُّذِقْهُ

﴿مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [الحج:٢٥] يشفي به الله.. ﴿يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ﴾ [المائدة:١٦] ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٞ وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا خَسَارٗا﴾ [الإسراء:٨٢] ﴿يَهۡدِي بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخۡرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِهِۦ وَيَهۡدِيهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ [المائدة:١٦] .. ويرتقي العبد في درجات الاستقامة الفكرية والمنهجية والسلوكية إلى مقام الدعوة والإحسان إلى الخلق في مجادلتهم بالحق ﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٣٣ وَلَا تَسۡتَوِي ٱلۡحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُۚ ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ﴾ [فصلت] ..

﴿وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [النحل:١٢٥] .. فيستوعب قضايا القرآن ومسائله وحججه وسلطانه على الكافرين والجاحدين العقلية والكونية والأفقية والنفسية.. فيتحقق له مقام الجهاد الحق والكفاح الصدق الذي هو غاية الجهاد بالسيف والسنان...!

﴿ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾ [الأنفال:٣٩] أي: حتى لا يكون هنالك شرك ظاهر يحكم الأرض، وتكون كلمة الله هي العليا على الأرض - أي: شرعه وأوامره - كما هي العليا على الحقيقة والإطلاق .. والقرآن يحوي من الأدلة والبراهين الرد على كافة الشبهات ولكن يحتاج القرآن منك ليظهر لك كرمه وكنوزه إلى شيئين ..:

- الثقة واليقين بدوائه..
- والولوج إلى بابه بالافتقار والسؤال الحثيث لأنه كتاب عزيز..

وفي ضمن هذه السلسلة من المقالات نتعرض لبعض أنوار حجج القرآن وشفائها لأدواء العقائد والأفكار لنتحقق بالنفس الطويل في الجهاد والبيان والصدع بالحق..

نسأل الله التوفيق والسداد في القول والعمل





(٢/٢)

﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ﴾

من أقوى أدلة وجود الله ووحدانيته وألوهيته وربوبيته الفطر المركوزة في البشر،فهم قد فطروا على الإقرار بربويته المطلقة بل استحقاقه بالعبادة أيضا..

وقد دل القرآن على ذلك في قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم:٣٠]، وفي السنة عن أبي هريرة رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم: «**كل مولود يولد على الفطرة**» [متفق عليه].

والفطرة هي الإقرار بمعرفة الله كما هو مروي عن الإمام أحمد، وكما جاء في الحديث الآخر في صحيح مسلم قوله صلى الله عليه وسلم: «**إني خلقت عبادي حنفاء**» والحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام، وهي الميل إلى الله والإعراض عن غيره

ولذلك حين واجه الجاحدون من أقوام الرسل الرسل صلوات الله وسلامه عليهم بكفر الشك والتكذيب وقالوا ﴿وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [إبراهيم:٩] واجههم الرسل -صلوات الله وسلامه عليهم- بتلك الحجة القاطعة وتلك الكلمات التي كوخزة في ضمير الجاحدين ﴿أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [إبراهيم:١٠] .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «درء تعارض العقل والنقل»: [وهذا استفهام بمعنى النفي والإنكار على من لم يقر بهذا النفي، والمعنى: ما في الله شك، وأنتم تعلمون أنه ليس في الله شك، ولكن تجحدون انتفاء الشك جحودًا تستحقون أن ينكر عليكم هذا الجحد، فدل ذلك على أنه ليس في الله شك عند الخلق المخاطبين، وهذا يبين أنهم مفطورون على الإقرار] انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

- فرصيد الفطرة الهائل في النفوس البشرية حجة من سلطان، وحجج الله أجراها على ألسنة الرسل وذكرها

في كتابه على الجاحدين لوحدانيته، بل قالها موسى عليه السلام لأعتى الكفرة فرعون فقال تعالى حاكيًا عنه: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء:١٠٢] وقال تعالى عن فرعون وقومه: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل:١٤] فالمجادل في الله والمحاج فيه بمقدمات ونتائج وإن كانت منقوضة تخالف البديهيات والمسلمات في ذاتها، ومع ذلك منقوضة بما يجد في قرارة نفسه من تلك الضرورة الملحة بالإقرار بربوبية وألوهية رب العالمين.

قال الفخر الرازي في تعليقه على هذه الآية: [اعلم أن أولئك الكفار لما قالوا للرسل: ﴿وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [إبراهيم:٩]، قالت رسلهم: وهل تشكون في الله، وفي كونه فاطر السماوات والأرض وفاطرًا لأنفسنا وأرواحنا وأرزاقنا وجميع مصالحنا؟! وإنا لا ندعوكم إلا إلى عبادة هذا الإله المنعم، ولا نمنعكم إلا من عبادة غيره،

وهـذه المعاني يشـهد صريح العقـل بصحتها فكيـف قلتم: ﴿وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ﴾ [إبراهيم:٩]؟! وهـذا النظم في غاية الحسن]

- بل وقبل الاحتجاج بخالقية الله ومصنوعاته الدالة عليه فالفطرة شـاهدة عليه، وهي حجة مسـتقلة ثم تزداد رسوخًا بالأدلة العقلية والبراهين النظرية والنقلية والنفسية والأفقية.

قـال الزمخشـري في «صاحـب الكشـاف»: ﴿أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ﴾ [إبراهيم:١٠] أدخلـت همـزة الإنكار علـى الظرف؛ لأن الـكلام ليس في الشـك إنمـا هو في أن وجـود الله تعالى لا يحتمـل الشـك، وأقـول: مـن الناس مـن ذهب إلـى أنه قبـل الوقوف على الدلائـل الدقيقة فالفطرة شـاهدة بوجود الصانع؛ المختار ويدل على أن الفطرة الأولية شاهدة بذلك وجوه منها:

قـال بعـض العقلاء: إن مـن لطم على وجـه صبي لطمة فتلك اللطمة تدل على وجود الصانع المختار، فلأن الصبي

العاقل إذا وقعت اللطمة على وجهه يصيح ويقول:

من الذي ضربني ؟

وماذاك إلا أن شهادة فطرته تدل على أن اللطمة لما حدثت بعد عدمها وجب أن يكون حدوثها لأجل فاعل فعلها ولأجل مختار أدخلها في الوجود، فلما شهدت الفطرة الأصلية بافتقار ذلك الحادث مع قلته وحقارته إلى الفاعل فبأن تشهد بافتقار جميع حوادث العالم إلى الفاعل كان أولى، وأما دلالتها على وجوب التكليف، فلأن ذلك الصبي ينادي ويصيح ويقول:

لم ضربني ذلك الضارب ؟

وهذا يدل على أن فطرته شهدت بأن الأفعال الإنسانية داخلة تحت الأمر والنهي ومندرجة تحت التكليف وأن الإنسان ما خلق حتى يفعل ما يشاء ويشتهي، وأما دلالتها على وجوب حصول دار الجزاء فهو أن ذلك الصبي يطلب الجزاء على تلك اللطمة، ومادام يمكنه طلب ذلك الجزاء

فإنه لا يتركه، فلما شـهدت الفطرة الأصلية بوجوب الجزاء على ذلك العمل القليل فبأن تشهد على وجوب الجزاء على جميع الأعمال أولى، وأما دلالتها على وجوب النبوة فلأنهم يحتاجون إلى إنسـان يبين لهم أن العقوبة الواجبة على ذلك القدر من الجناية كم هي، ولا معنى للنبي إلا الإنسـان الذي يقدر هذه الأمور ويبين لهم هذه الأحكام، فثبت أن فطرة العقل حاكمة بأن الإنسـان لابد له من هذه الأمـور الأربعة] انتهى كلامه رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

فدلالة الفطـرة على الصانع وحكمتـه واختياره والجزاء والنبوة واضحة جلية، والثلاثة لا سـبيل إليهم إلا عن سـبيل الأول فدلالتهـا على وجود الصانـع الخالق المريد الحكيم أوضــح وأوضح، ثم تـأتي بعد هذا الحجـج العقلية والنقلية وبالله التوفيق.



مصابيح لا شموع

خلقنـا الله في هـذه الحياة الدنيا لإقامـة العبودية له تعالى بكل أنواعها قلبًا وقالبًا ..حبًا وشوقًا وخوفًا ورجاءًا وركوعًا وسـجودًا، وأعظـم درجات التعبـد هي أن تكـون بينه وبين خلقـه دعـوة وبلاغًـا وتعليمًـا وأمـرًا بالمعـروف ونهيًا عن المنكر ..كما يقول ابن القيم رحمه الله ..

وذاك المقام هو مقام الأنبياء وعلامة على الاصطفاء ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ ﴾ [الحج:٧٥].

قال ابن القيم: الله يصطفي لرسـالته أصلًا وميراثًا .. فمن يرث النبوة هذا مصطفي مجتبى من قبل الله ..

والنبـوة لهـا وظائـف أربع كما جـاء في الكتـاب العزيز:

﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ

١ - يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا

٢ - وَيُزَكِّيكُمۡ

٣- وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ

٤- وَٱلْحِكْمَةَ ﴾ [البقرة:١٥١].

فالنبوة تلاوة وتعليم وتربية وتصفية وتهذيب..

وهذا الأمر يتطلب من القائم به دائمًا تجديدًا لإيمانه ويقينه، و تعاهدًا لأوراده و علومه وفهومه، وتقدمًا حقيقيًا في السير إلى الله -تبارك وتعالى-..

كثير ممن تصدى لهذا الشأن أصبح شأنه كشأن الشمعة التي تحترق لتضيء للآخرين الطريق، أو كالشجرة الوارفة الظلال التي يستظل بها الناس من كل حدب وصوب وقد دب داخلها السوس فتجتث من فوق الأرض مالها من قرار..

ولم يكلفنا الله أن نكون شموعًا، وليس ذاك هو حقيقة وراثة النبوة والقيام بشعيرة الأمر بالمعروف، بل أمرنا أن نكون كالمصابيح ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ۖ ٱلْمِصْبَاحُ فِى زُجَاجَةٍ ۖ ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّىٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا

يُضِيٓءُ وَلَوۡ لَمۡ تَمۡسَسۡهُ نَارٞۚ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٖۚ يَهۡدِي ٱللَّهُ لِنُورِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَيَضۡرِبُ ٱللَّهُ ٱلۡأَمۡثَٰلَ لِلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴾ [النور:٣٥].

قال أبي بن كعب وابن عباس رضي الله عنهما: مثل نوره في قلب المسلم.. كمثل تجويف في الحائط، وهو يشير إلى التجويف الصدري ﴿فِيهَا مِصۡبَاحٌ﴾ وهو مصدر النور والإيمان ﴿ٱلۡمِصۡبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ والزجاجة هي القلب يرى الحق بنقائه وهو صلب في اعتقاده ورقيق لكل ذي قربى ومسلم ..

والفرق بين المصباح والشمعة:

أن الشمعة تستهلك فتنفد فتلقى..

أما المصباح فهو قابل للتجدد والنماء ولو استهلك فتيله ووقوده فيجدد و يتزود فيعود وهاجًا وضاءًا منيرًا..

كثير منا قد استهلك بالأعمال الدعوية عن تجديد وقوده، وتراه ملء السمع والبصر حركة وشهرة، ولكن قد دب السوس في قلبه و قاربت الشمعة على الانتهاء، فلابد من توازن بين التقدم الكمي والكيفي على مستوى الفرد والجماعة والمجتمع والأمة ..

نحن نشكوا من تقدم المظهر على الجوهر ..

من تقدم العلم على العمل والأخلاق..

من تقدم الأعمال الظاهرة على طاعات السر..

من تقدم الأعمال الدعوية على التعبد الخاص بين العبد وربه..

لابد من توازن و توسط ..

لابد من عطاء للقلب كي نستطيع أن نأخذ منه ..

لابد من وقود..

﴿ٱلزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوۡكَبٞ دُرِّيّٞ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٖ مُّبَٰرَكَةٖ زَيۡتُونَةٖ لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ﴾

ذاك القلب الزجاجي وقوده من زيت زيتوني مبارك من شجرة مباركة؛ وهي شجرة الوحي الصافي الثجاج النازل من السماء ﴿لَّا شَرۡقِيَّةٖ وَلَا غَرۡبِيَّةٖ﴾ لا إفراط ولا تفريط ولا غلو ولا جفاء لا مع المغضوب عليهم ولا الضالين، لا مع أهل الغي علم بلا عمل ولا مع أهل الضلال عمل بلا علم، لا مع أهل العلو ولا مع أهل الفساد..

بل توسط في الإرادات والتصورات والأعمال والسلوكيات..

ذلك الوحي قرآن وسنة ..لابد أن يتزود منه كل يوم يتعلم آية ويتعلم حديثًا لا لينشرها على مواقع التواصل الاجتماعي ولا ليقولها في محاضرة، بل ليجدد ذاك المصباح الذي ينير الزجاجة ..

ليجد غب ذاك النور في ورده وصلاته وذكره ودعائه وصيامه وقيامه ومعاملته وخلقه .. ليكون صالحًا ومن ثم ليكون مصلحًا ..

لابد أن يتلو الآيات هو نفسه وتحترق بها حشاشة نفسه قبل تلاوتها على الناس..

لابد أن يتزكى و يطهر نفسه وقلبه من أمراض الشهوة والشبهة والوساوس الرديئة و الخواطر الشيطانية ..ويخلي ويحلي قبل أن يعظ بلفظه و عمله بعيد عن قوله..

لابد وأن يتعلم الكتاب والحكمة، لا تكفي الخطوط العريضة أو العناوين والشعارات الجوفاء بل نحتاج إلى دراسة مؤصلة أكاديمية لكل فروع الشريعة من العلوم

الخادمـة والمخدومـة، وأصلها تلقي الوحي قرآن وسـنة و تنميـة الملكـة الفقهية التي تتعامـل مع الوحي مباشـرة بعد التأهل ؛ لفتح باب الاجتهاد على مصراعيه..

نحـن نحتاج للاضطـلاع بأعبـاء وراثة النبـوة لمصابيح متجـددة متقـدة متقدمـة كل يوم زيـادة من الفضـل والنور ﴿وَيَسۡتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضۡلِهِۦۚ﴾..

لا ينبغـي لك أيهـا الداعية أن تتوقف عـن تنمية ذاتك في علمـك وعبادتك وأورادك، لابد أن تتاجر وتربح وتنفق من الربح، إياك أن تنفق من رأس المال فتفشـل تجارتك مع الله وتنحسـر دعوتك وتخفت وتخبو وتغـور في الأرض، وقبل ذلـك تفقد قلبـك ورضا ربك وقـد اغتررت بشـهرة أو ثناء أو ألقاب زائفة ..

كن مصباحاً ولا تكن شمعة..!



عبودية الحرمان

قدر الله عز وجل أن تكون الدنيا دار للآلام والمحن والفتن.. ليستخرج من قلوب أوليائه وأصفيائه عبودية يحبها؛ من الصبر والمصابرة والمرابطة وحسن الظن والخوف والرجاء والرغبة والرهبة والحب والشوق..

وكلما ازدادت الفتن ظلامًا و عتوًا وعلوًا كلما ازدادت القلوب تضرعًا وخضوعًا وسجودًا بين يدي باريها ومعرفة بأسمائه الحسنى وصفاته العلى وآثارها في الأنفس والآفاق، ولهذا خلق الله السماوات والأرض..

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق].

معرفة الله هي الغاية من ذلك الوجود..معرفة مستلزمة

للاستسلام لحكمه الشرعي والرضا بحكمه الكوني ومدافعة الأقدار بالأقدار ..

مدافعة قدر الذنب بقدر التوبة، وقدر وجود الشر والكفر والظلم والفساد بقدر الصلاح والإصلاح والدعوة والجهاد..!

وقد يحرم الله عباده بعض ما يريدونه ليعطيهم ما يحتاجونه، ولا يفهم العبد ذلك إلا إذا أسلم قياد قلبه إبحارًا في اسم الله الحكيم..

﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة].

فالله هو الحكيم العليم يقدر الضراء والبلواء والآلام والجراح لتخرج القلوب من ظلمات الطبع والنفس والهوى والمعاصي والفسوق والكفر إلى نور التوحيد والمعرفة والإخلاص والتجرد والإنابة، فتذوب القلوب شوقًا لربها الذي عرفته وأحبته وخافته فيكون ذلك أغلى عندها مما

طلعت عليه الشمس وألذ وأطيب من كنوز الأرض، بل يكون هذا أعلى نعيمها في جنة المأوى؛ وهو القرب من الله..

وقد قدر الله ذلك الحرمان على أنبيائه ورسله ليجدوا من هذا النسيم العليل و برد اليقين الذي يحيل حرائق الدنيا ودخانها إلى سلام و جمال، وهو استصحاب معيته وقربه وإحاطته ودفاعه وكفايته وتدبيره وتوكله بأمور عباده خير من توكل الأب الشفيق الرحيم والأم الشغوف بولدهما.. ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الروم]..

حرم بعضهم التمكين ردحًا من الزمان، وحرم بعضهم الصحة، وحرم بعضهم الغنى، وحرم بعضهم لقاء الأحبة، وحرم بعضهم الذرية، وحرم بعضهم تأييد أبيه أو زوجته أوابنه في قضيته وقد تخلوا عنه، وحرم بعضهم المكث في وطنه، وحرم بعضهم حياة أحبائه و أولياء الصدق له..

كل صنوف البلايا والمحن والرزايا قد طحنتهم وهم يزدادون ولهًا و شوقًا ورضًا بربهم ﴿فَمَا وَهَنُوا۟ لِمَآ أَصَابَهُمْ فِى

سَبِيلِ ٱللَّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا ٱسۡتَكَانُواْ ﴾ [آل عمران:١٤٦] بل لا يزيدهم إلا إيمانًا وتسليمًا وعملًا للصالحات و بلاغًا للرسالات بلا توقف أو فتور أو كلل..

وقد ضرب الله لنا مثلًا من ذلك النور بزكريا عليه السلام الذي حرم الولد تسعين عامًا في واقع دعوي مرير لا يجد فيه معينًا ولا رفيقًا على خدمة بيت الله المقدس ومناهضة حكام الجور في بني إسرائيل، ولك أن تتخيل مرارة ذلك الواقع من خلال مصيري زكريا ويحي عليهما السلام؛ **فالأول**: نشر بالمنشار، **والثاني**: ذبح ذبحًا..

ومع ذلك كان زكريا عليه السلام كالطود الشامخ تزيده العواصف صلابة ورسوخًا وتؤزه أزًا للتضرع والدعاء والتعبد والتخشع والانكسار والخضوع ..

حتى استحق تلك الفيوضات من الرحمة الخاصة الإلهية لتفيض عليه بسطًا وبركة..

في تلك الليلة الظلماء التي لا يسمعه فيها سامع و لا يراه

راءٍ ارتجفت شفتاه يهمس بكلمات جلجلت في السماء وسمع لها صدى كبير سجلها الله في كتابه خلودًا لحروفه؛ لأن الخلود معنى لا يحتاج إلا الاتصال بالحق تعالى إخلاصًا وتجردًا وكفى..!

﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾

﴿رَحْمَتِ﴾ الرحمة بالتاء المفتوحة التي تدل على البسط والكثرة ..

﴿رَبِّكَ﴾ ولم يقل رب العالمين، بل ربك أنت كما أنه رب زكريا، فإذا تعرضت له كما تعرض زكريا بسطت عليك الرحمات مثله..

﴿عَبْدَهُۥ﴾ إشارة إلى سبب الاجتباء والاصطفاء وهو تحقيق العبودية فعلى قدرها تكون رحمات الربوبية، وهو أشرف لقب تلقب به بشر، وهو مقدم على اسمك الذي سماك به أبواك لأنه الوصف الذي ناداك به ربك .. ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ﴾

﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾ تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة .. كما أنه عبده فهو ربه..

علاقة متبادلة .. يحبهم ويحبونه .. اذكروني أذكركم .. لئن شكرتم لأزيدنكم .. هل جزاء الإحسان إلا الإحسان .. أليس الله بكاف عبده ..

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾..

نداء نقي من الدنيا مسافرًا للآخرة للمنتهى عند الله ..

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبٗا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيّٗا﴾

أظهر نقاط ضعفه في ندائه لربه لم يستغن لم يطغ بل تواضع وانكسر، فما أقرب الجبر لذلك القلب المكسور..

ثم أثبت القاعدة الخالدة .. لا يعرف الشقاء سبيلًا لقلب يقول يارب يارب .. لأنه تعلق بالله لا التراب والأسباب المنقطعة الزائلة ..

وإنما الشقاء من التعلق بالمخلوقين لا الخالق..

﴿ وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾ القرآن يتخطى خطوط الزمان والمكان لنقف سويًا نشهد آلام ومخاوف قلب قد شاخ في الدلالة على الله والبلاغ المبين..

هذه المخاوف ليست دنيوية قاحلة بل أخروية أصلًا وفصلًا..

هموم الدعوة و خدمة الدين هموم تكتوي بها قلوب عباده المصلحين وتحترق أحشاؤهم عليها، ومع ذلك تظل ثغورهم باسمة لاقترابهم من مراد الرب تعبدًا وصبرًا ورضًا..

﴿فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴾

لا من لدن الأطباء والعقاقير والحقن المجهرية والأنابيب، بل من لدن القدرة والعظمة التي لا يشك فيها ولا يقلق معها بل تذهب بالمخاوف والإحن..

رغم أن الأسباب كلها تقول: لا ..

ولكـن الكلمة أخرجهـا بالحنين لرحمتـه وقدرته والثقة بهما..!

﴿ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴾

وراثة نبوة ودعوة وصلاح وإصلاح وعبودية ورضا ..

هذه عبودية الدعاء والتضرع والثقة واليقين وحسن الظن..

محروم من التمكين .. محروم من الصحة .. محروم من استجابة قومه.. محروم مـن دعم إخوانـه وزوجته وأقرب الناس إليه .. محروم من الغنى والكفاية ..

بهـا تتحطـم الصعـاب وتتخطـى العوائق و تفجـر ينابيع العطاء وتنزل البركات ويتغير العالم بأسره ..

﴿ يَـٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَـٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾

جاءت الإجابة سـريعة لأن رحمته أقرب إليك من ألمك ومـن همك وغمـك ونفسـك ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾

قربه يذيب القلب، ولولا الحرمان لما دعوته لتجد كوثره وحلاوته..!

إنها عطية هنية ﴿ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾ ..عطاؤه يدهش العقول لمن فرغ قلبه في دعائه ومناجاته..!

﴿ قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ ٱلْكِبَرِ عِتِيًّا ﴾

عاد من معراج الروح وسفر القلب للآخرة .. عاد من الصلاة وانتهى منها، فقد كان قد تجلى أمام عينيه مشهد رحمة الله وقدرته ..

«**فإن ربه تلقاء وجهه**» فلما عاد إلى الأرض بأسبابها وترابيتها جعل يتعجب من العطايا التي تعددت الأسباب والحوائل والعوائق التي حالت دونها..

﴿ قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ (هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ) وَقَدْ خَلَقْتُكَ مِن قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْـًٔا ﴾

هذا أمر ليس هيناً ولكن على الله هين ..

لـو أوكل النـاس أمورهـم وطموحاتهم وآمالهـم التي في أعينهـم معقـدة بعيـدة المنال لمن هـي عليه هينة..لتيسـرت أمورهم واتسـعت الأرض والسماء لهم .. «**لو أنكم تتوكلون علـى الله حق توكله لرزقكـم كما يرزق الطيـر تغدو خماصًا وتعود بطانًا**».

كل ما تريـد وما تحتاج عليه هين، وتذكر المنن السـالفة ﴿ وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰٓ ﴾ استدع ذاكرة النعم والإنجازات الأولى التي وفقك فيها حتى توقن أنه مهما احلولكت الحياة سـيأخذ بيدك وقلبك إليـه أخذ الكرام عليـه، مهما تطاولت المحن و تجبر الملوك و تقلب الكفار في البلاد وعلا صوت منابر الشياطين و تزين صولجان الباطل بضجيج الطواغيت نصر الله آت والتمكين قائم ..

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّىَ مَن نَّشَآءُ ۖ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾

إذن لماذا حرمتني مما هو عليك هين تسعين عامًا ..؟!

لماذا الحرمان لماذا الابتلاء والآلام والجراح والمخاوف..؟!

لكي نسمع صوت دعائك وتضرعك يا زكريا، وهذا الذي تحتاج وإن حرمناك بعض الوقت ما تريد ..

﴿ فَلَوْلَآ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَا تَضَرَّعُواْ ﴾ ..

نعم قد نتعجل ونريد التمكين حالًا، ولكن إذا حدث ستعجل لنا العقوبة لأننا لسنا على ذاك المستوى من التأهيل النفسي والإيماني ..

فيحرمنا منه ليعطينا ما نحتاج من تحقيق عبودية الاستضعاف والصبر والمصابرة والمرابطة والمجاهدة والمدافعة والمراغمة .. حتى نصنع على عينه ويربط على قلوبنا رغم الحرمان والألم فإذا مكنا؛ ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُواْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْاْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ حتى نعلم أن الأمر من السماء ليس من الأرض ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ ﴾ ﴿وَٱذْكُرُوٓاْ إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ

مُّسْتَضْعَفُونَ فِي ٱلْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾.

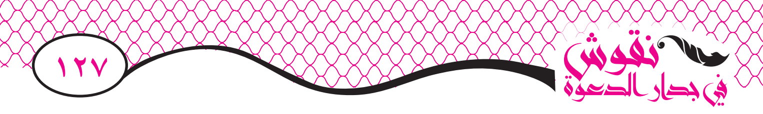
﴿ قَالَ رَبِّ ٱجْعَل لِّيٓ ءَايَةً قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٍ سَوِيًّا ﴿١٠﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنَ ٱلْمِحْرَابِ فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ أَن سَبِّحُوا۟ بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴾ [مريم].

مع أنها علامة المعجزة والاصطفاء والكرامة على الله.. ولكنه وقد أمسك لسانه لم يتوقف عن الدعوة إلى الله حتى بالإشارة أرواح خيرة تمشي على الأرض مرتبطة بالسماء ..

فكما تعبد في الحرمان.. تعبد في العطاء .. فالأولى بالصبر والثانية بالشكر..

نسأل الله من فضله ورحمته وقربه وبره وإحسانه وأن يرضينا بقضائه ويشوقنا للقائه إنه ولي ذلك والقادر عليه ..





الفهرس